

اقرأ

[٤٣٧]

الحديث
حول الأدب والفن والثقافة

عبدالعال الحماصى

ألماسيت

حوّل الأدب والفن والثقافة

الطبعة الثانية



دارالمعارف

تصميم الغلاف : نادية النحاس

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

فهرس

مقدمة ٧

توليق الحكيم ٩

أحمد رامى (٢ حديثان) ٢١، ١٤

د. حسين فوزى ٢٦

نجيب محفوظ (٣ أحاديث) ٣٢، ٤٣، ٥٤

د. محمد عزيز الحبابى (المغرب) ٦٢

د. شوق ضيف ٧٧

د. رشاد رشدى ٨٥

مولود قاسم (الجزائر) ٩٤

ثروت أباطة ١٠١

سعد مكاوى ١١٢

د. محمد الظواهري ١٢٠

أحمد كامل مرسى ١٣١

مرسى جميل عزيز ١٤٣

محمد جبريل ١٥٣

فاطمة سليم (تونس) ١٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

● عندما أقدمت على إجراء هذه الأحاديث التي يحتويها هذا الكتاب خلال فترات متراوحة . . كنت أهدف - وقد أتيت لي فرص نشرها والالتقاء بالأساتذة الذين أجريت معهم وبعضهم تربطني بهم صداقة وثيقة أشرف بها - أن أقدم شيئاً يفيد حياتنا الأدبية والفنية . . مسترشداً بما عايشته لما قدموه في مجالاتهم الإبداعية المختلفة .

فلم تكن هذه الأحاديث هنا مجرد « دردشة » عابرة تتبدد بمجرد إعطاء مناسبتها فقد حرصت على أن تكون ذات طابع يكفل لها الاستمرار متخطية بذلك أسوار الزمن الذي أجريت فيه . . والفصل في ذلك يرجع إلى الدين التقيت بهم فهم أصحاب مادة هذا الكتاب . ولم يكن لي غير أني أدليت برعالي فامتلأ بفيض ينابيعهم .

وإذا كانت بعض جزئيات هذه الأحاديث تتعلق بمناسبة أو قضية كانت مطروحة وقتها فقد توخيت من السؤال أن تكون الإجابة بشأنها بمثابة وثائق حوفا . وآمل أن تكون هذه الأحاديث قد ألفت ضوءاً على أعمال الدين أجريت معهم

لتنح للقاءى رؤية أكثر اتساعا عن هذه الأعمال وأصحابها وأن يسترشد بهذه الرؤية عند مسيرته فى دروب عوالمهم الإبداعية .

والحقيقة أن بعض الإجابات فى هذه الأحاديث يمكن أن تكون نوعاً من الإضافة لما سبق أنه أعطاه أصحابها من قبل أدباً وفناً . . فنحن من خلال هذه الأحاديث نقف وجها لوجه أمام أعمالهم ومواقفهم ومكوناتهم ورؤيتهم حول مختلف القضايا التى تتحاور فى ساحتنا الثقافية .

بجانب هذا فقد استهدفت أيضا أن أكون واحداً من الذين قاموا بمحاولات لتدعيم وترسيخ وإبراز ملامح ولسمات « الحديث » الأدبى والفنى . . فالحقيقة أن هذا النوع ليس طارئ الوجود . . فله رواده الذين تعلمت منهم . . ولكن المحاولات المتميزة فى مجاله كانت محدودة . . وأمل أن تكون هذه المحاولة من جانبي لبنة تضاف إلى بنيانه . . وأن تكون قد حققت ما استهدفته . وأن تكون فى المستوى الذى يؤهلها لأن تمكث فى أرض حياتنا الثقافية . . والله ولى التوفيق ، ،

عبد العال الحماصي

توفيق الحكيم

إمكانات العلم . . وليست مجرد رؤية الفنان !

● في عصرنا هذا . . لم يعد الطعام وحده هو الحاجة المادية الوحيدة للإنسان ، هناك احتياجات أخرى على نفس الأهمية . . المسكن اللائق . . والمكان المتاح في المدرسة والجامعة . . والسرير في المستشفى . . والمواصلات المكفولة المريحة . . بجانب حق التمتع بما أحدثته الثورة الصناعية من منتجات . . والأخذ بنصيب عادل من معطيات الحضارة وأفانين الثقافة . . وضروب الفنون .

ومنذ ثلاثة عشر عاماً تقريباً أطلق مفكرنا وفناننا توفيق الحكيم دعوته منادياً بالطعام لكل فم . . انطلاقاً من إحساس مفكر وفنان توثقه مشاكل عصره . . وهموم إنسان هذا العصر .

وعاد مؤخراً يكرر هذه الدعوة في مواجهة عالم متختم بالثراء في جانب منه . . بينما أغلبته في مناطق كثيرة تساقط من الجوع . . وتفتك بها الأمراض . . وتفقد

مقومات الحياة . . كما ينبغي أن تكون الحياة .
الجديد في دعوة توفيق الحكيم تأكيده بأن في مقدور العلم أن يكفل هذا . . أن يكفل وجود عالم خال من الجوع . ومن هنا ينبثق السؤال . . هل اعتمد الحكيم في دعوته تلك على شفافية الفنان فيه ومعاناته واستشرافه - بحكم هذه الشفافية وهذه المعاناة - العالم الأفضل أم اعتمد على رؤية موضوعية لإمكانات العلم الراهنة . . وإمكاناته المحتملة والمتوقعة .

وهل يمكن أن يرفع الحكيم شعار دعوة مماثلة . . ؟
دعوة تنادى بالمسكن لكل مواطن . . والمقعد في المدرسة والجامعة لكل راغب في التعليم والعلم . . السرير في المستشفى لكل مريض . . وهل يجد أن العلم يمكنه أن يحقق لنا هذا . . كما اعتقد بأن العلم في مقدوره أن يوفر الطعام لكل فم . . ؟
هذا ما طرحته على مفكرنا وفناننا الكبير توفيق الحكيم . .

● رغم تزايد السكان . . سيكون الطعام لكل فم :

● قلت لتوفيق الحكيم :

● دعوتكم التي نادى بتوفير الطعام لكل فم . . والتي جزمتم بقدرة العلم على تحقيقها .

هل هي حلم فنان يحتضن هموم الإنسان . . ويتوق لأن يجد الحلول لمشاكله أو تجاوزت ذلك - أعنى رؤية الفنان - واعتمدت على مقياس حقيقي لإمكانات العلم الراهنة والمتوقعة . وهل وضعتم في الاعتبار الزيادة الموهولة في معدلات نمو السكان ؟ ؟

- وأجابني توفيق الحكيم بقوله :

هذه الدعوة جذورها أصلاً في آمال الإنسان . . وأحلام الفنان . . وتجدها
عندى في كتاباتي القديمة . . في الثلاثينيات مثل «يوميات نائب في الأرياف»
«مشكلة الحكم» وفي الأربعينيات في مثل «سلطان الظلام» إلى أن فجرت اللدرة
في الخمسينيات . . وظهرت بوادر القوة الهائلة التي أنتجها العلم الحديث ، فبدأت
عندى الآمال تأخذ طريق الإمكان .

وجاء ذلك في «رحلة إلى الغد» . . ثم تأكد عندى ما يستطيعه العلم في إنهاء
الجوع ، فكثبت في الستينيات الطعام لكل فم . . ونحن الآن في السبعينيات فلم يعد
عندى شك في قدرة العلم . . ووجدت المسألة قد تجاوزت الإطار الفني والأدبي .
للدخول مباشرة في العمل الفعلي على تحقيق ذلك . .

أما تزايد السكان ونحو ذلك من المشكلات فإنها سوف تحل من نفسها عندما
يكون الطعام لكل فم شيئاً محققاً .

● قلت :

عندى ثمة تساؤل . . اقتصرت دعوتكم على «الطعام لكل فم» هل تعتقدون
أن إمكانات العلم قادرة على إيجاد الحلول لاحتياجات أخرى أساسية . . المقعد
الميسر لكل راغب في التعليم . والدواء لكل مريض ؟

- بالطبع . . إن العلم الحديث إذا وجه إلى حل مشكلات الاحتياجات
الأخرى للإنسان فإنه يستطيع حلها بسهولة . . فهي ليست عنده بأصعب من
توجيه مركبة على سطح المريخ وإصلاح ذراعها وأمرها بالتقاط الصور من مسافة
مائة مليون ميل ! ! . .

● العلم قادر . . .

والإنسان يفضل اللعب :

● متى في اعتقادك - مادمت متفائلاً إلى هذا المدى - يمكن أن يتحقق الحلم . .

أفي قرننا هذا . . أوفي قرن آت . . أومتى ؟ !

- متى يتحقق هذا الحلم ، حلم الطعام لكل فم . . في اعتقادي أن العلم قادر . . ولكن الإنسان هو غير القادر . . الإنسان الذي لم يزل في مرحلة الطفولة السلوكية إنه يفضل اللعب على الأكل . . وكل من في بيته طفل يعاني من ذلك عندما يحىء وقت الغداء ويحاول جاهداً أن ينتزع طفله من بين لعبه كي يتناول طعامه .

العلم العجيب الخارج من رأس الإنسان الطفل وجهه إلى صنع صواريخ ومفرقات يلعب بها ونسى الطعام . .

إلى متى ؟ هنا المشكلة الحقيقية !

● الشعوب هي التي تجوع . . وعليها أن تقوم بالتمويل :

● عدت أقول .

أعتقد أن دعوتك تلك لا يمكن أن نحققها دولة بمفردها . أقصد على مستوى العالم بأسره . . لابد من تعاون عالمي لإنجاز هذه المهمة والحلم . .

هل تعتقد أن التقدم الحضارى يمكن أن يلغى الإقليمية والإحساسات العرقية ونعرات الكيانات القومية لتعمل الإنسانية بأسرها . والدول بأجمعها في قافلة موحدة

من أجل الوصول إلى هذا الهدف . . وهل سيأتي هذا اليوم . . أيمن أن يأتي ؟
- فعلاً . . دعوني لا يمكن أن تحققها دولة بمفردها . . فالعلم متفرق . . كما هو متكامل . .

والعلماء والخبراء ينتمون إلى دول وجنسيات مختلفة . ولكن ما ينتجونه من علم يكمل بعضه بعضاً . . ولذلك فلا بد من تجميع وتوحيد البعض من العلماء والخبراء المؤمنين بالفكرة . . فكرة توجيه العلم إلى هذه الغاية . وإذا خرجوا بعد بحوثهم بخطة عملية ولم يبق غير التنفيذ . وما يتبعه من تمويل . . فإن الأمر يصيح في أيدي الشعوب . . لأن الشعوب هي التي تجوع وعليها أن تتكاتف وتتعاون لتحقيق عملية القبول .

ولكن . . هل الشعوب موحدة في كيان واحد؟ . . أو أنها مختلفة ومتفرقة في كيانات وقوميات وحساسيات ونحو ذلك ؟
هذا أيضاً من أهم المشكلات ! وحتى لو اتحدت الشعوب في هذا الهدف بمعزل عن هذه الاعتبارات فما هو موقف الحكومات . والسلطات والسياسات ؟ كل هذه معضلات ومعوقات . . ولكن يبقى العلم قادراً ومنتظراً ، وعلى كل عقل وقلب وضمير . أن يعمل بما في يده من فكر وقلم وفعل حتى يتجه الجميع إلى هذا الهدف . أما متى يأتي ذلك اليوم . فأمره عند ربي . وليس لنا إلا أن نأمل في حكمة الشعوب . وفي مستقبل الإنسانية .

ولي أمل خاص في الشعوب العربية .

فهل سنسمع صوتها ؟ ! إني منتظر !

يناير سنة ١٩٧٧

الشاعر أحمد رامى

التطور . . لابد أن يكون من صلب الشيء ذاته !

لن أتحدث هنا عن رامى الشاعر الكبير بدواوينه النابضة بأرق أشعار العاطفة المتسامية والوطنية الدافقة . . ولا عن رامى عملاق الأغنية المصرية ودوره فى الانطلاق بها من الترخص والابتذال إلى ذرى الفن الرفيع . . ولا عن رامى صاحب أروع ترجمة لشعر الخيام تمكنت من النفاذ إلى أعماق هذا الشاعر الفارسى . وسبر أغواره الوجدانية . وجاءت بما يجعلها إضافة حقيقية للشاعرية العربية .

ولن أتحدث عنه مترجماً ولا كاتب قصة منذ مطلع شبابه ولا مؤلفاً للمسرح الشعرى وقصص بعض أفلام الراحلة الخالدة أم كلثوم . . فكل هذا يعرفه القارئ عنه ولا جدوى من تكراره ،

ولكنى سأحدث عن لمسة وفاء بدرت من صاحب القلب الذى لم ينبض على

مدى حياته إلا بالحـب . . لمسة وفاء هزت وجداني في عصر أقفر من الوداد
الصادق .

في الصباح توجهت إلى منزله في حدائق القبة . وجدته متألق الروح تنطق
بالفرحة كل مشاعره ، فقبل دخولي بدقائق كان قد تسلم رسالة من الشاعر صالح
جودت الذي يعالج الآن في لندن - شفاه الله وأعاده لوطنه معافى - كانت الرسالة
تحمل إليه أخباراً مطمئنة عن صحة صديقه الذي أجرى عملية ناجحة . . رأيت
رامى يكاد يبكي من فرط الفرح . . وجدته يبادرنى بالرسالة ويتلوها على في
إحساس من امتلاك كنوز الدنيا كلها . . يا عصرنا . برغم كل ما يقال فيك ، لم تزل
بعد بخير . . وما زالت قلوب الناس عامرة بهذا الشيء الذي يعطى الحياة معناها . .
بالحب .

● قلت للشاعر أحمد رامى :

مستقبل الأغنية الطويلة وكذلك أغنية القصيدة الشعرية ما هو توقعك له على
ضوء إمكانات الأصوات الغنائية الموجودة ؟
« لا أدري . . أكان يتألم لما آلت إليه حال أغانيها . . أم كان يسخر من سذاجتى
وهو يخيبنى بنبرات متبكرة :

- الأغنية الطويلة . . ليس لها حاضر حتى يمكن أن يكون لها مستقبل . لأن
طاقة المغنى والسماع أصبحت محدودة وأصبح الاستماع الطويل للغناء مفقوداً في هذا
العصر الذى ساده القلق وانتشر فيه الوهم واندفع الناس إلى الاستمتاع بالحياة في
سرعة وانتهاز . وأصبحت الأغنية عبارة عن قطعة صغيرة لا تأخذ من الوقت أكثر
من عشر دقائق ، أما الشعر فقد نصبت سوقه وانفض عشاقه . . بعد أن انتشرت

الأغاني الدارجة . ذات المعاني الهزيلة . والتعبيرات الركيكة وأصبح السامع لا يطبق الصبر على تفهم اللغة الفصيحة التي تصب فيها هذه القصائد . والتي كان يرددها كبار المطربين من رجال ونساء .

قلت :

● أليست هذه نظرة بالغة التشاؤم ؟

- لست أقول هذا من قبيل التشاؤم . وإنما من باب الاعتراف بالواقع المائل فبإأراه وأسمعه في هذه الأيام من أصناف الأغاني . . أصبحت الأغنية الآن مجرد تسلية ولم تعد طرباً .

● في نظرك من هو الملحن الذي استطاعت ألحانه أن تتجاوب مع إمكانات صوت كوكب الشرق أم كلثوم ؟

- بدأت أم كلثوم اختيار الملحنين الممتازين في عصرها ، من أبو العلا محمد إلى عبد الوهاب وقد اختارت القصبي وهوقة في التلحين . . ثم زكريا أحمد وهو آية في اللحن الشرق ثم السنباطي وألحانه هي الإبداع عينه . . ولا أرى في كل من لحن لأم كلثوم إلا قادراً على إظهار مفاتيح صوتها وسر المعاني في الأغنيات التي تشدو بها .

● ما رأيك في الألحان التي وضعت لأغانيها الأخيرة ؟

- الألحان الأخيرة التي قدمت للسيدة أم كلثوم تختلف عن الألحان التي سبقتها . . لإدخال بعض الآلات الإفرنجية في هذه الألحان والاقتصاد في الجمل الموسيقية والإكثار من الطبل والزمير الذي كان يشوش على صوتها فلا تستين ألفاظها كما تعودنا . وانعدمت في هذه الألحان الطبقات العالية من ذلك الصوت الرخيم والانفراد بالغناء في جوتسكت أو تخفت فيه هذه الآلات . لدرجة أن صوتها أصبح عبارة عن آلة من هذه الآلات الموقعة .

● البعض يتهم موسيقانا الشرقية يا لا يتلاءم مع عصر راكض الخطو متلاحق الحركة ، فى رأيك هل يقف هذا الاتهام على أرض حقيقية . أم أن الموسيقى الشرقية تحمل خصائص ملائمتها لحياة عصرنا المتحركة أبداً . ؟

- الذين يقولون هذا هم أجهل الناس بالموسيقى الشرقية ، بل لعلهم أجهل الناس بالموسيقى عموماً . فالموسيقى الشرقية هى أوسع موسيقات العالم ميداناً فى علم الطبقات وعلم الأوزان وعلم الألحان . وهى نبع سخى لكل الموسيقات التى لحقتها . وإن كان فيها شئ من الرتابة كما يزعم البعض فهذا مرده إلى ضعف المغنى والملحن لا ضعف الموسيقى نفسها . وعلى أى حال لا توجد الرتابة إلا فى أنواع الأغانى القصيرة «الطفاطيق» وهى التى يردد فيها نفس اللحن فى كل مقطع من الأغنية . . . أما التغنى بالقصيدة والمونولوج والقطعة الوطنية أو الوصفية وغيرها فهى عامرة بالألحان التى تتلون وتتغير فى كل مقطع . وقد بلغت الموسيقى الشرقية من السعة ما يمكنها من أن تبلغ من التطور فى إهابها ما يجعلها تغنى عن الاقتباس من الموسيقى الغربية . ولا أرى أن يكون التطور فى شئ إلا من صلبه ذاته . .

● هناك شبه إجماع على أن الأغنية المصرية تجتاز أزمة ، هل يكون سر هذه الأزمة هو افتقار الأغنية إلى الكلمات الموهوبة ؟

- أنا لا أعتقد بأن بقاء الأغنية راجع إلى كلماتها أكثر من رجوعه إلى لحنها وإلى الصوت الذى يؤديها . فكم من أغنية هزيلة اللفظ طيبة اللحن اشتهرت أكبر الشهرة . وكم من قطعة غنائية جيدة اللفظ والمعنى وردية اللحن كتب لها السقوط . . والرأى عندى أن يتحد اللفظ واللحن فى صوت جميل يحسن الأداء لإبداع الأغنية . . ولا أنكر أن معنى الأغنية له دخل كبير فى تقدير السامع لها . فإن الإحساس الصادق التعبير . والذوق الخالص فى التصوير كفيلاً بإرضاء من يستمع

إلى الأغنية ولونزل لحنها أضعف المؤدى لها عن المستوى الذى وصلت إليه الكلمات .

● دورك فى تطوير الأغنية المصرية والارتفاع بمستواها مسألة لا تحتاج إلى دليل . . لماذا توقفت عن كتابة الأغانى ؟

- أنا شاعر أصدر ثلاثة دواوين . ورباعيات الخيام نقلاً عن الفارسية قبل أن أنظم أغنية واحدة ، أنا شاعر ، الشعر مهمته قبل كل شيء . . وليست الأغنية هى الشيء الأساسى فى إنتاجه . . وأنا لم أنقطع عن نظم الشعر أبداً سواء أكان ذلك فى خواطر تعرض لى أم فى مناسبات قومية وآخر ما نظمته قصيدتى فى رثاء مطربة الشرق السيدة أم كلثوم أما كتابتى للأغنية فأمر يتطلب منى التريث حتى تنقشع عن نفسى تلك السحابة التى ترين عليها .

● مادمت تعتبر أن الأغنية ليست الشيء الأساسى فى إبداعك فما السر الذى جعلك تتجه إلى كتابتها بهذا الاقتدار وتعطينا أجمل ما ترنمت به أصواتنا الغنائية العظمى .

- بدأت أكتب الأغنية من منطلق الرغبة فى خدمة هذا الفن فن الطرب . وفى ذلك العصر السحيق منذ نصف قرن كان يشيع فى بعض الأغانى ألفاظ غثة وكلمات مسفة . . وكان على أن أفعل شيئاً . وقد وفقنى الله أن أعطى صورة مشرفة للأغنية كما يجب أن تكون ، وقد عاوننى فى ذلك إخوة وأبناء من الشعراء والمؤلفين . . حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وفى ظل ظروفها عاد شيء من الركافة والاستهانة والانكشاف إلى الأغانى القصيرة الهزيلة .

● كتبت للسنيها قصة «وداد» و «دنانير» من أفلام أم كلثوم . . لماذا لم تكتب بعدها قصصاً للسنيها ؟

- في مطلع حياتي الأدبية كنت متعدد الاهتمامات . . فقد نشرت طائفة من القصص في مجلة «السفور» وألفت رواية مسرحية هي «غرام الشعراء» قامت بتمثيلها السيدة فاطمة رشدي . . كما ترجمت خمس عشرة رواية للمسرح . . ولكني بعد ذلك آمنت بالتحخصص . . ولما كان الشعر هو الشيء الأساسي في حياتي فقد اقتصرت عليه ولم أنقطع لتأليف غيره . . وكثيراً ما طلب مني أن أكتب شيئاً من المذكرات أو البحوث فكنت أرفض توافقاً مع مبدأ التخصص الذي التزمت به والذي وجدته بلائماً طبيعياً الخاصة . فأنا ابن الخواطر يعرض لي المعنى الجديد . فأُنظم فيه . . لقد خلقت لأرسل الأبيات نجوى للنفسى وسراً لأحبابي وقرائي .

● أغلب شعراء الشطرين يرفضون الشعر الحديث . . ما هو موقفك أنت منه ؟

- ليس هنالك شعر قديم وشعر حديث . فالشعر هو البحر والقافية فإن خرج عنها فليكن له اسم غير ذلك . . أما قولهم شعر الشطرين والتقليدي والقديم وغير ذلك فهذا افتتاح على الشعر وانتقاص من قدره . . وليس الشعر مقصوراً على القصيدة ذات البحر الواحد والقافية الواحدة . فإن من أنواعه الموشح والنشيد والمونولوج «القطعة الفردية» والشعر التمثيلي وغير ذلك . . تتنوع فيه الأبحر والقوافي في إطار مدرّوس يخرج عن الرتبة المزعومة في البحر الواحد والقافية الواحدة . . أما أن يقتصر في النظم على التفعيلة الواحدة ثم يحرص بها في ألوان من الأشطر المختلفة العدد في هذه التفاعيل والمختلفة الجرس في اللفظ الذي يقف موقف القافية . فهذا خلط لا يستسيغه الذوق ولا السمع . وليبحث أصحاب الشعر الحديث - كما يسميه أهله - عن اسم آخر غير الشعر . . ثم كيف يقال لرجال لا يقيم جملة صحيحة من اللغة العربية وإنا يكتب باللغة الدارجة أنه شاعر غنائي . .

وهل هناك شاعر غنائي ، وشاعر تمثيل ، وشاعر غزلي . . نحن لا نعرف هذا .

وإنما نعرف أن هنالك شعراً غنائياً وشعراً وطنياً وشعراً تمثيلياً . . أليس كذلك . .
● وتبقى كلمة ●

هل أقول لك في النهاية إن شاعرنا الكبير أحمد رامى قد رفض الإجابة عن
أسئلة كثيرة كانت في خاطرى وطرحتها عليه حول واقعنا الفنى وعناصره . . وهو حر
في هذا . . فليس من حقى أن ألزمه بالإجابة عن أسئلة لديه من المبررات ما يجعله
يمتنع عن الإجابة عنها . . هذه مسألة بديهية ولكنى أذكر هذا من قبيل الدفاع عن
نفسى حتى لا أتهم بالتقصير من لدن قارئ يرى - وهو محق في هذا - أن هنالك
قضايا مهمة كان يمتنى أن يسمع رأى شاعرنا الكبير فيها وقد أتيت لي فرصة لقائه
وإجراء هذا الحديث معه .

مهما يكن من أمر فقد أعطانا الشاعر وجهات نظر ثمينة في قضايا متعددة . .
وحاشا أن يكون هو اللوم . . ولكن المحب طماع . . وهذا كل ما فى الأمر . .
ملاحظة قد تكون سخيفة . . عفواً شاعرنا . اغفرها . . بحياتك اغفرها . .

« ديسمبر » ١٩٧٥

أحمد رامى

لن أكتب شيئاً يغنى بعدها !

مهمتى فى إجراء حديث مع شاعرنا أحمد رامى دائماً تكون باللغة الصعوبة ، كل مرة أتصل به معرباً عن رغبتى فى إجراء حديث معه يجابهنى بإجابة أصبحت أتوقعها قبل أن تبدومنه لفرط ما اعترضنى بها . . دائماً يقول لى : ماذا بقى ليقال ، لقد أدليت بعشرات الأحاديث فى كل ما يمكن أن يخطر على بال متسائل . . وأجيب بأن رجلاً فى مثل ريادته لا يمكن أن ينضب معينه أو يحف نبع العطاء فيه . . حتى الذى سبق أن قاله ستعطيه جدة الحيوية قيمته هو الكبرى فى حياتنا . . مثل أغنية رائعة دائماً يحن الإنسان لسماعها . . مثل كتاب معطاء دائماً نعود لقراءته . .

وما أقول له هذا تملقاً ليرضخ ويستجيب . . بل أقوله بصدق نابع مما تعنيه الكلمة تماماً . .

في النهاية استجاب شاعرنا أحمد رامى لرغبتى . . ربما تخلصاً من عنادى ! !
● قلت لرائد الأغنية المصرية المتطورة أحمد رامى :

رباعيات الخيام التى ترجمتها لنا بطريقة أضافت لها روعة الخلق الدائى . . هل
هى كل ما كتب حكيم نيسابور من رباعيات . . إن كانت توجد رباعيات أخرى
لهذا الشاعر فلماذا لا تقدمها لنا بنفس الشاعرية والافتدار الذى قدمت به إلى ديوان
الشعر العربى ما ترجمته من رباعيات ؟

- لو عدت إلى الديوان لوجدت الإجابة على سؤالك جاهزة . . فالمقدمة التى
تصدرت ترجمتى لهذه الرباعيات تعرضت لحياة الخيام وشعره وما انتحل ونسب
إليه . . ولو كنت قرأت المقدمة لكنت أغتكت عن توجيه السؤال ! !
ألمجتنى المفاجأة . . ها هو ذا يعربى . . لماذا فقدت ذاكرتى وقد قرأت الديوان
والمقدمة أكثر من مرة .

● ولكن الأجيال الجديدة تحب أن تسمع رأيك حول ما جاء فى السؤال ؟
« جاءتنى إجابته تحاصرني . . لا فائدة لا بدّ من التسليم بالهزيمة بلا مكابرة . . »
- من أدراك أن الأجيال الجديدة لا تعرف . . والرباعيات طبعت ست عشرة
مرة على فترات مترامية . . وكانت من الانتشار بحيث تكون المقدمة متاحة لكل
الذين تهتمهم الإجابة .

● لو كتبت لنا جديداً من الشعر الغنائى . . فمن الأصوات المطربة بعد
« ثومة » ماتتلاءم إمكانيات الأداء عنده مع طبيعة شعرك الغنائى ؟
- ما عدت أكتب الأغنيات . . انتهت مهمتى فى هذا المجال . . وبالتالي
فلا معنى لقراءة طالع مخلوق لم يوجد بعد !

● ولكن رامى الذى كانت الكلمة المحلقة الموسيقية هى توأم خليجاته وأحاسيسه

لا يمكن فى اعتقادى أن يتوقف عن العطاء المتجدد تجدد الحياة وتوافقاً مع دفع
مشاعر شاعر تعودناه دائماً فى عناق مع الحياة ؟

- صدقنى بأنى لا أعتقد أننى سأكتب شيئاً يغنى بعدها .. لقد كنت أكتب
استجابة لمشاعرى وتعبيراً عن وجدانى وهى ملء خاطرى .. كانت العبارة الشاعرة
توافينى متأخية مع أخيلتى لإمكانيات صوتها ومعرفتى لطبقاته ومكوناته .. الآن بعد
رحيلها لا يمكن أن تطاوعنى نفسى على كتابة أغنية أسمعها بغير صوتها !!
● أنت شاهد على عصر حافل بمتغيراته وتطوراته فى كل مجال .. ومذكراتك
كفيلة بأن تعطينا ملامح هذا العصر بأكمله فى الشعر والأدب والموسيقى والغناء فلماذا
لا تكتب لنا هذه المذكرات ؟

- أنا ابن الخواطر تعن لى فأسوقها لما أتاح لى الله من خاصية الشعر .. لست
مؤرخاً ولا باحثاً اجتماعياً .. أنا شاعر ، ما عندى قلته شعراً وعند هذا الحد تتوقف
مهمتى ! .

● ليكن .. هذا رأيك . ولكن كنا ننتظر منك كتاباً عن أم كلثوم ؟

- كثيرة هى الكتب التى تنشر الآن عن أم كلثوم ؟

● كتاب منك أنت بالذات شئ آخر ؟

- لو خطر لى هذا قبل رحيلها لكان من الممكن أن أفعل .. الآن من الصعب
على والجرح مازال يتزف أن أفعل ! !

● هل تحدثنا عن انطباعاتك وأنت تتلقى من الرئيس شهادة الدكتوراه الفخرية
التي قدمتها لك أكاديمية الفنون تقديراً من الرئيس ومنها لمسيرة ممتدة منتجة فى درب
الشعر والفن ؟

- اجتاحتني إحساس غامر بسعادة متناهية لدرجة أنني لم أستطع أن أكظم

دموعى التى غالبتنى فأنفجرت . . لقد كرمتنى الدولة من قبل بمنحى جائزة الدولة
التقديرية . . وفى تقديرى أن الرئيس كان يكرم فى هذه المرة مسيرة نصف قرن مع
أم كلثوم .

● شوق وأنت . أنفدتها فن الغناء العربى من الانحطاط الذى كان قد تردى
فيه . هويا كتبه لعبد الوهاب وأنت يا قدمته لثومة . . للحقيقة قيل لنا من كان
أسبق منكما لأخذ زمام المبادرة ؟

- شوق شاعر عظيم تتألق شاعريته فوق قمة القمم . . ولكنه لم يقدم فى مجال
الأغنية غير عدد محدود قد لا يتجاوز أصابع اليدين . . ولكنى قدمت مئات
الأغنيات .

● هل يمكنك أن تعرفنا بخصائص مدرسة كل واحد منكما فى الغناء ؟
- قلت لك شوق شاعر وليس صاحب مدرسة غنائية . . لقد أراد أن يرفع
عبد الوهاب فكتب له بعض الأغنيات . . ولكن الأغنية لم تكن جزءاً من اهتماماته
ولا هادفاً من أهدافه . . وبعض ما يغنى له أخذ من دواوينه أساساً ولم يكتبه
هو خصيصاً للغناء .

● ما السر فى أنك لم تستمر فى كتابة المسرحية الشعرية كما فعل شوق وعزيز
أباظة من بعده ؟

- لم أكتب غير مسرحية واحدة هى « غرام الشعراء » التى قدمتها السيدة فاطمة
رشدى . . ولكنى لم أواصل ذلك إيماناً بالتخصص من جهة واكتفاءً بأننى أجيد
التعبير عن نفسى فى القصيدة المفردة والأغنية . . وربما لو كانت أم كلثوم قد
اتجهت إلى المسرح الغنائى لكان المسار مختلف ولواصلت كتابة المسرحيات من أجل
المسرح الغنائى ومن أجلها ؟

● غنت لك أم كلثوم ما لا يمكننى الإحاطة هنا بتعدادة . . وقد أبدعت حقاً
فى كل ما غنته لك . . ولكن من وجهة نظرك ما هى الأغنية أو الأغنيات التى
كانت أكثر توفيقاً فيها ؟
- عندما تدخلنى « بوفيهاً » عامراً بأطايب الأطعمة وأشهى المأكولات فمن
الصعب أن أنبأوك عن الصنف الذى كان أحلى مذاقاً . . كل ما شئت به
أم كلثوم كان رائعاً عندى . . كما هو رائع عند الناس .

يونيو سنة ١٩٧٦

الدكتور : حسين فوزى

الحضارة روح وعقل . . قبل أن تكون مصانع وأجهزة !

كان لقاى الأول به منذ سنوات فى مبنى التلفزيون . كان الروالى ثروت أباطة قد استضافه واستضافنى فى برنامج « شريط تسجيل » وقتها سمعت منه وجهات نظر فى منتهى الخطورة ، كان هذا الشيخ الرائد بركاناً يقذف الحمم ضد كل ما هو شائه فى أوضاع مصر . وحتى التلفزيون ، وقد كان هو فى عقر داره ، لم يسلم من حملته على برامجها الهابطة والسخيفة .

وأكبرت الرجل الجسور كما أكبرته من قبل كاتباً ، قرأت له أغلب ما كتب . . سعدت عندما اكتشفت عنده التوافق الرائع بين الكلمة والفعل . بين السلوك والفكر . بين الرجل والفنان . إنه الدكتور حسين فوزى أحد رواد نهضتنا الثقافية الحديثة . والذى يمكن أن نطلق عليه لقب « سندباد الثقافة المصرية » الذى ارتحل بنا فى بحور الحضارة . وطاف بنا سواحل المعرفة .

وعندما التقيت به مؤخراً في «الأهرام» كان لدى الكثير من التساؤلات أنتظر لها منه إجابة ، ولكن وقت الرجل الضيق من جهة . وتوفيق الحكيم الذى كان يطاردنا مستعجلاً الخروج . منتظراً له من جهة أخرى ، لم يسمح بغير هذا الحديث المقتضب ..

● قلت للدكتور حسين فوزى سندباد الثقافة المصرية :

كيف استطاع الدكتور حسين فوزى الأديب . الطبيب ، عالم البحار . الموسيقى الرحالة أن يوفق بين كل هذه الاتجاهات وأن يتفوق فيها جميعاً في الوقت نفسه . وأين يمكن أن يجد الأستاذ نفسه في كل هذا . . أعنى في أى جانب منها يجد أنه قد حقق ذاته بطريقة أفضل ؟

« من نظراته أدركت بأن السؤال ليس بجديد . . وكنت أعرف هذا مقدماً . . أعفاني الدكتور من أن أسوق له التبرير فقد أعطاني الإجابة . .

– أعتقد أن كل فعل أقدمت عليه وكل نشاط مارسته هو حسين فوزى ذاته ، لا أفضل نوعية على نوعية . . كل ما كتبه أو فعلته كان استجابة لصوتى الداخلى ولكونائى الذاتية . ولما هو أنا فى الحقيقة . .

وإذا كنت قد حققت ذاتى فإن التوق للمعرفة . والرغبة فى الاكتشاف هى التى أتاحت لى أن أنجح فى هذا . . إن المعرفة هى ضالة رجل الفكر والفن والعلم والأدب التى يجب أن يسعى إليها مهما كابد فى مسعاها . . ومهما أدمت المسيرة قدميه . . لا يستطيع إنسان أن يزعم أنه حقق ذاته بدون المعرفة .

● بالمناسبة ما هورأيك فى فكرة التخصص ونحن فى عصر تعددت جوانب معارفه ؟

- طبعاً التخصص ضرورة يقتضيها زحام المعارف في عصرنا . . ولكن ليس معنى هذا أن ينغلق الفنان أو العالم داخل الفرع الذى يزاوله . ويقفل على نفسه الباب دون الثقافات الأخرى ، فثلاً كاتب القصة القصيرة لن يكون مجوداً فيها إذا لم يكن مثقفاً في بقية فروع الإنسانيات من فلسفة مثلاً وعلم نفس واجتماع واقتصاد وغير ذلك . وقل هذا بالنسبة للطبيب أو عالم الرياضيات . . الجزء من خلال الكل . هذا ما أعنيه .

● هناك رأى يقول بأن العلوم الإنسانية مازالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات . . ما الذى علينا أن نفعله - لوسلمنا بهذا - لتضييق هذه المسافة ؟

- أولاً أنا أعترض على هذا الرأى ، من قال إن العلوم الإنسانية متخلفة عن العلوم المعملية ؟

. . الإنسانيات معناها إنسان متحضر . متقدم الوعى والفكر والإحساس والسلوك ، وبدون هذه القيم ما كان يمكنه أن ينجز هذه الاكتشافات الباهرة وتحقيق تلك المعطيات العلمية المتفوقة ، وفي الدولة ذات التقدم العلمى لا فجوة هناك بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية .

إنهما وجهان لعملة واحدة أو جناحان لطائر واحد .

● جيلكم . . ما هو دوره وسط خريطة الأجيال التى صنعت نهضتنا الحديثة ؟ - دوره أنه بعد أن لاح له أول شعاع من المعرفة بعد ظلام طويل . . حاول أن ينمى هذا الشعاع وأن ينطلق على ضوئه فى الطريق الصعب لبنى مصر جديدة . . جديدة بحضارتها القديمة . وجديرة بانتمائها للعصر الحديث . . كان جيلنا عاشقاً لمصر فى كل ما فعل وكان هذا العشق وراء ما اكتسب وما أعطى . .

جيلنا تعلم جيداً . واستهان بالمخاطر في سبيل أن يتعلم . كانت البعثات وقتها شيئاً مشرفاً . كان المبعوث يختار بميزان الذهب . ويخضع لاختبارات صعبة . ولم ينل أى واحد بعثة بدون أن يكون جديراً بها بكل ما تعنيه الكلمة . . إن البعثات التي أوفدتها الجامعة منذ إنشائها هي التي بنت مصر الحديثة .

● عندما تعيد النظر في مسيرتك في درب ثقافتنا . هل تشعر بأنك راض عما أنجزته . أم أن هناك ما هو أفضل كنت تتمنى تحقيقه . وهل قلت ما لديك أم عندك بعد ذلك ما تقوله ؟

« ماكدت أنتهى من السؤال حتى انفجر البركان من الداخل في نظراته الحارقة . . التي تقذف شواظ الغضب . .

هل كنت « قليل الأدب » . أم أنى افتقدت الذوق .

إجابة الدكتور تضمنت التأييب فقط .

- أنا مندهش لسؤالك يا حمامصى ، يرضى الإنسان عن نفسه عندما يتوقف نبضه . عندما يلفظ آخر أنفاسه . . أنا لم أشعر بالرضا عن نفسى أبداً . وحتى لحظة الموت لن أكون راضياً عن نفسى . . أنا دائماً مشروع جديد . . ومحاولة اكتشاف جديدة . . مازلت أشعر بأننى سأعطي في كل وقت وفي كل مرحلة مادام فى نفس يخلج بالحياة . . إني أيمم وجهي شطر المستقبل . . رجل الأدب والفكر والفن لا ينضب أبداً مادام متفتحاً على نبض العصر تواقاً إلى اقتحام المجهول ، وليس العطاء وفقاً على سن معينة ولا على مرحلة بذاتها . . هناك إضافات بالغة الخطورة والثراء أعطتها عباقرة في مراحل متأخرة من أعمارهم . . المهم أن لا يتجمد الإنسان أبداً . وأن يشعر بأن الطريق أمامه مازال ممتداً وأن الاحتمالات مازالت قائمة . ● كتبت أنت ذات مرة تقول : العلم والرومانتيكية صديقان لدودان . وأنتك

بفضل الدراسات الطبية وممارسة العلوم. قد استطعت أن تتخلص من المرض الرومانسى . طيب . . لاشك أن العلم تحكمه قوانينه المادية الصارمة . ولكن ألا يكون الاكتشاف العلمى حلمًا رومانسيًا لدى الباحث يحققه بواسطة القوانين المادية ؟

— مازلت متمسكًا برأى . . الرومانسية مرض . مرض المراهقة . وربما الشباب . . عن نفسى فى شبابى كنت بركانًا . والدراسات العلمية هى التى أحمدت البركان . . رجل العلم رجل عقل محض . كل شئ بحساب . النتيجة هى بنت الأسباب . المتمخض هو وليد الفعل .

أما ما تسميه أنت الحلم الرومانسى ساعة الاكتشاف ، فأنا أسميها « لحظة التجلى » لحظة أن يكون الوعى فى ذروته . والعقل فى قمة يقظته .

● البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى . وأن مسيرة التاريخ تتجه الآن نحو شمولية الكيان الإنسانى الموحد . . هل توافق على هذا ؟

— ياليت ما يقولونه حقًا . . مازال الإنسان برغم المسيرة الحضارية التى قطعها ، مازال أسير نظراته الضيقة وانتهائه المحدود . . ليس من الميسور القضاء على الشعور بالقومية . ولكن المطلوب أن تحقق القوميات سلامًا للإنسانية بأسرها وتكاتفًا من أجل مصيرها وقضاء على كل ما يهددها من خطر أو ما يواجهها من عقبات ، بعدها يتحقق الانسجام بما يعطى الجزء بأن أمنه الخاص لن يتحقق إلا من خلال أمن الكل .

● كان لك رأى يقول بأنه من الخطل أن تقتصر البعثات على العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد ، هل لديك أفكار تشير بها على الدول النامية بخصوص هذا ؟

- الروح لا يرى بالعلم وحده . . الحضارة روح وعقل وشعور قبل أن تكون أجهزة ومصانع ومنشآت . وعلى الدول النامية أن تدرك هذا . . أن تحترم كلية الآداب بنفس درجة احترامها لكلية الهندسة . . وأخص بالحديث الدول النامية التي تفجرت من باطن الأرض ثرواتها المادية بما يمكنها من استيراد أحدث الأجهزة العلمية . . الحضارة هي جهاز علمي متقدم . وإنسان عصرى متوازن .

● فى كتاباتك أشدت كثيراً بفعالية الدور الذى قامت به ترجمات محمد السباعى وغيره فى تكوين الإحساس الأدبى لدى جيلكم . هل تؤدى الترجمة الآن دورها بالنسبة للأجيال الجديدة ؟

- أعتقد أن الترجمة مازالت تواصل دورها فى خدمة الثقافة المصرية . .
● كتبت أنت القصة القصيرة . وكان لك دور فيها بين أبناء جيلك . أعنى ما يطلق عليه « المدرسة الحديثة » بالتحديد لماذا توقفت عن كتابتها ؟

- لم أتوقف عن كتابة القصة القصيرة . . ولكن هناك اهتمامات أخرى أخذتني منها ، ولكنى كنت أعود إليها عندما أجد ما لا يمكن أن يقال إلا قصة قصيرة . والدليل على أنى لم أنقطع عن القصة القصيرة أننى مؤخراً كتبت بعض القصص القصيرة ونشرت فى صحيفة « الأهرام » ولكن يبدو أن الحركة الأدبية لم تأخذ بالها .
● بمناسبة القصة القصيرة . . فى السنوات الأخيرة دار كلام حول ريادة القصة

القصيرة وأنت تستطيع أن تعطينا الحقيقة أولاً بحكم كونك من رجال « المدرسة الحديثة » وحتى لو كانت هناك محاولات سبقت مدرستكم فأنتم أعلم ببحا بحكم اقترابكم زمنياً منها . من هو رائد القصة القصيرة فى مصر ؟

= الرائد الحقيقى لفن القصة القصيرة فى مصر هو محمد تيمور .

« ديسمبر » ١٩٧٤

نجيب محفوظ

● الأديب المجود .. أهم من الأديب المجدد !

ما أن تدق الساعة العاشرة صباحاً حتى يتحول «مقهى بترو» في مواجهة البحر الأبيض المتوسط بالإسكندرية إلى منتدى ثقافي يموج بالحياة والحوار في الأدب والفن والسياسة والاقتصاد .. فإلى هنا يأتي توفيق الحكيم يوماً وكان يأتي تيمور ، ولكننا أصبحنا نفتقده ، وهنا نجيب محفوظ وثروت أباطة ودكتور حسين فوزي ، والفنان سيف وانلى وشريكة عمره والمخرج أحمد كامل مرسى . وإبراهيم فرج المحامى ، وعباس الأسوانى .. والموائد من حولهم تكتظ بالأدباء .

هذه المناقشات الخصبية في كل ما يتعلق بالفن والحياة كنت أتمنى أن يعكف أحد على تسجيلها .. آراء تنطلق تلقائية وعفوية لا يشوبها التقنين ، ولا ينقص من سخونتها التنظيم .. خسارة هذه الأفكار .. أن تضيع !

أعربت لنجيب محفوظ عن رغبتي في أن أجرى معه حديثاً .. رحب الرجل ..

«تحت أمرك» قالها بترحيب جم . اتفقنا على أن يكون الموعد صباح الغد في مقهى صغير يبعد قليلاً عن «بترو» . . في صباح اليوم التالي ذهبت إليه . . . وجدته ينتظرنى .

بالأمس كان بعض رواد الندوة قد أثار ما نشره الدكتور لويس عوض في «الأهرام» عن الندوة التي عقدت في لندن وتعرضت لأدب نجيب محفوظ حيث هاجمه الأديب حلیم بركات واتهمه بأنه كاتب مسابير غير منتم . . ومن خلال ما كتبه الدكتور لويس لم يكتفم اتفاقه مع رأى حلیم بركات .

● قلت لنجيب محفوظ ما هوردك على زعم حلیم بركات من أنك كاتب ورجل أيضاً مسابير غير منتم وما هو تفسيرك لموافقة الدكتور لويس على هذا الرأى ؟
- تردد الرجل . . بان التردد في صمته . . هل هو صمت الاستعداد أو صمت الإحجام ؟ ربما كان يريد أن يقول بأن الرد ليس مهمته . . إنها مهمة النقد .
قلت محاولاً أن أنقض على تردده قبل أن يصبح الصمت قراراً . .

● لابد أن أسمع رأيك . . إنها مسألة لا تخصك وحدك ، فم لماذا تكون المعركة من طرف واحد ، إن من حق الخالق أن يتصدى للناقد إذا اجتاز الأخير حدود العمل الأدبى إلى شخص خالقه ذاته ؟

° ° °

تدافعت الكلمات من فم نجيب محفوظ :

- أحب أن أجاب بالملاحظات الآتية :

أولاً - الانتقال من الحكم على عمل أدبى إلى الحكم على مؤلفه ليس من حق الناقد أساساً . إلا إذا كان يؤرخ للكاتب وأن يكون على بينة تامة بمن يكتب عنه .
والأستاذ حلیم بركات لم يعاشرنى ولم يعرفنى . وأقصى ما يمكن تصوره أنه سمع عنى

معلومات وغالباً ، وكما هو واضح ، فإن هذه المعلومات جاءت من غير أصدقاء .
ثانياً - إن العمل الذى استشهد به لينفذ بهذا الزعم «ثثرة على النيل» ، هذا
العمل يحتوى على شخصياته السلبية بجانب شخصياته الإيجابية . كما أن الشخصيات
الإيجابية توجد بكثرة فى أعمال الأخرى «اللص والكلاب» وأولاد حارتنا «والسمان
والخريف» .

ثالثاً - إن العبرة بالسلبية والإيجابية هو المضمون وليس الشخصية . بمعنى أنه قد
يوجد عمل حافل بالشخصيات السلبية ، ولكن روح العمل تدعو للإيجابية مثلاً
أعطيك عملاً يكتظ بالمنحرفين ، ولكنه فى جوهره دعوة إلى الفضيلة بمعناها العريض .
وتوقف نجيب محفوظ لحظة ثم عاد يواصل حديثه :

أما عن تهمة المسامرة . . فيما يختص بشخصى فتوجد نقطة غابت عن حلم
بركات ، وقد سبق أن لفت نظر الدكتور لويس عوض إليها فى جلسة خاصة . . إنه
يفترض أننى ضد ثورة يوليو ، ولذا فأنا أسايرها . . أما الحقيقة التى لا شك فيها فهى
أننى أساساً أنتمى لثورة يوليو ولبدائى ثورة يوليو . أنا منتم للإصلاح الزراعى . للعدالة
الاجتماعية . . وكل منجزات ثورة يوليو البناءة قريبة إلى وجدانى . وما زلت كذلك إلى
الآن وإلى الغد . . ولكنى فى نفس الوقت بجانب انتمائى لها كنت أتناقض معها فى
أمرين : سلبات الذين أفسدوها عند التطبيق من جهة . وعدم استكمال ذاتها
بالديمقراطية من جهة أخرى ! ولذلك كنت أنقدها من موضع الإنشاء لا من موضع
الرفض . أنقد اللصوص . وأنقد الاستبداد . . ولوأنى كنت عدوا لثورة يوليو لتجنب
نقدها خوفاً من أن تستفيد بنقدى وتصلح من حالها .

أما الدكتور لويس عوض . فأنا أنقده فيما يتعلق بالمقال الذى ورد ذكرى به . فهو
لم يكن موضوعياً بالقدر المنتظر منه ، فوجود شخص مثل لويس عوض فى مجال مثل

هذه الندوة التى أشار إليها فى إنجلترا يجعلنى أنا القارئ مشوقاً لمعرفة أشياء كثيرة . .
مثلاً . . ما أسباب عقد الندوة . من حضرها من الأجانب قبل العرب . وما هى
مترلتهم هناك . . كان يهمنى أن أعرف وجهات نظرهم قبل وجهات نظر العرب . .
فالصلة بينى وبين العرب غير مقطوعة . كانت تهمنى معرفة رؤية هؤلاء الأجانب عن
الشعر والمسرح والقصة عندنا . .

لويس عوض تجاهل كل هذه الأمور اضافة . وركز على مجرد بحث لشخص عربى
لأنه يوافق رأيه . أولاً أنه وجد له هوى فى نفسه . . فكأنما سافر لويس عوض إلى إنجلترا
لمجرد أن يعبر عن رأيه فى نجيب محفوظ ! . . لماذا كل هذا التعب . . وكان من الممكن
أن يقول لى هذا الرأى أو يقوله للقراء بدون أن يسافر !
أما كان أجدى بلويس عوض أن يعرفنا بالقضايا التى تدور هناك . . أن يعرفنا
بمآجد من تيارات أو ما انحسر من مسائل ، وهو يعلم أن العزلة الثقافية فرضت علينا
طويلاً ! .

من موقع القلق أكتب .

- أتاحت مناسبة الحديث عن الانتماء والمسيرة أن أجد السؤال . .
- قلت لنجيب محفوظ :

أعتقد أن الكاتب هو ضد شيء ما فى هذا العالم . ومن هنا تأتى أهميته بالنسبة
لأمته وللإنسانية بأسرها . ما الذى شرعت به قلمك ليكون ضده فى عالمنا ؟
- «ألاحظ عن نفسى أنني لا أكتب إلا من موضع قلق . هذا القلق أساسه
الاجتماعى قضية العدالة الاجتماعية . . كانت كتابتى عادة عن المجهورين . وحتى إذا
تجاوزت الكتابة هذه الحدود إلى ما يمكن أن نسميه التأملات العامة . فهى تدور أيضاً

حول قضية العدالة بمعناها الكونى . الإنسان فى مواجهة المصير . . أمام القضاء والموت .

إن دوافعى للكتابة أساساً تنبع من هنا . . لذلك تجدنى بعد هزيمة يونيو اندفعت للكتابة حتى بدون أن يكون لدى موضوع متبلور . . كان الصمت عذاباً ، على أنه بعد ٦ أكتوبر وبعد ما بدأت نفسى تستشعر ، من ثقة وإحساس بالتفاؤل ، لم أكتب حرفاً . . وما لدى من أعمال جاهزة الآن مكتوبة قبل أكتوبر . .
عندما أطمئن . . يبدأ الصمت !

كانت فترة حافلة بالإرهاب والأكاذيب :

● بعد هزيمة ٦٧ بدأ التساؤل لماذا ! كان هذا التساؤل يؤرق وجدان كل إنسان عربى . . وكان من الممكن أن يفجر هذا التساؤل ما يجعلنا نمسك بنحيط المعوقات التى أدت إلى هذا الوضع . وفى أدبنا أيضاً أطل نفس التساؤل ، لماذا ؟ ولكن السؤال أجهض - فى اعتقادى - بسرعة . . أياد خفية كتمت أنفاسه - وفجأة غرق هذا الأدب فى موجات من التغريب والعبث والبهلوانية باسم المعاصرة . هذه الموجات قذفت الضباب فى وجه المحاولة . . هل كان الأمر طبعياً . أم أن المسألة كان وراءها تخطيط يستهدف تجميع السؤال لتفضل طريق الوصول إلى الحقيقة ؟ !
وأجاب نجيب محفوظ :

- «السؤال الذى طرحته أنت حقيقى وطبيعى ووجيه . . وكان يجب أن يلقى إجابات واضحة ومحددة . ولكننا كنا نعيش فترة حافلة بالأكاذيب والإرهاب ، ومن المستحيل أن ينشر فيها رأى بوضوح . . فلم يكن من سبيل أمام الأدباء إلا اللجوء إلى الكتابة والرمز والإشارة . كما فعل صاحب «كلىة ودمنة» . . والذى يدل ذلك على صدق

هذا رأى أن الكناية نفسها قد صودرت . . أنا لم تصاد إلى الأعمال إلا في هذه الفترة « الحب تحت المطر » و « الجريمة » و « الكرنك » و « قلب الليل » كل هذه الأعمال لم تنشر في الأهرام ، وعندما قدمت بعضها لينشر بعيداً عن « الأهرام » تدخلت الرقابة ! قبل الجريمة كانت تغمرهم الثقة . فلم تكن تهجم الكلمة . بعد ذلك شعروا بأن السفينة تهتر . فبدءوا يتخوفون من الكلمة ويتنبهون لها . وأخذوا يتدخلون في التعمية التي تحدث عنها .

إن كتابات الشبان كان لها جانب فني وجانب سياسى هما الاحتجاج . . كانت محاولة للكلام بأى شكل . ولعلك الآن تلاحظ أن أدب الوضع بدأ يطل !

● هذا يؤكد بأن الفن لا يمكن فصله عن المناخ السياسى السائد ؟
- « بالتأكيد . . مسألة لاشك فيها . . فى ألمانيا أيام النازى . هاجر أفضل من تملكهم ألمانيا فراراً من الإرهاب . الأدب لا يترعرع إلا فى مناخ صحى من الحرية الكاملة ! » .

* * *

● قلت :

أفرزت النكسة أدبها فهل أفرز ما حدث فى أكتوبر أدبه . . وبالنسبة لك أنت بالذات هل كان لما حدث فى أكتوبر ما يدفعك لأن تقول فنا ؟

- فى الواقع ظهر أثر أكتوبر فيما يسمى بالأدب الإعلامى . . أما الأدب الفنى بمعناه الكبير فسيأتى غداً . وسيكتبه فى اعتقاده أرباب الجنود الذين خاضوا المعركة . كما حدث فى أوروبا والولايات المتحدة فى أعقاب الحرب الأولى والثانية . . أما الكتاب الذين لم يتح لهم خوض المعركة فإن رؤية الفنان قادرة على أن يكون لديها ما تقوله . وقطعاً سينعكس أثر المعركة فى أدبهم رؤية وروحاً إن لم يكن وقائع وأحداثاً . . قد يأتى

هذا حتى من خلال قصة عاطفية . . أما أنا . . فأنا الآن في فترة اطمئنان كما قلت لك من قبل وأنا أكتب من موضع قلق ! »

أدب العالم الثالث عليه أن ينطلق من أرض الإيمان :

● ثمة رأى يقول بأن موجات أدب العبث والتغريب بدأت تنحسر من العالم . وبدأ الأدب من جديد يتساءل عن الخلاص ، كما نلاحظ بأن وجهة النظر القائلة بأن مهمة الفن هو أن يساهم في تغيير العالم وتطويره وتجميل الحياة والكفاح ضد كل ما هو شائه وشرير فيها . وجهة النظر هذه بدأت تتسع أرضها . إذ كيف يمكننا تغيير العالم قبل فهمه وتقنيته أولاً . .

هل ترى ثمة غلبة قادمة لأدب الوضوح . . أدب الواقعية النقدية . والجالية في نفس الوقت ؟

- «التغريب في الأدب . وكذلك العبث لا يأتى اعتباطاً . وإنما كانعكاس للإحساس بالاضطراب والعبث في الحياة نفسها . وكلما تخلص الإنسان من سلبات الحياة استعاد الثقة . رجع الأدب يعبر عن وظيفته الطبيعية البناءة في خدمة المجتمع والحياة . . في الحقيقة يوجد دائماً نوعان من الفن . . فن بناء مستوحى من الإيمان والانتماء لقضية . وفن عبثي مستمد من الشك والقلق من الحالات المرضية التي تغمر العالم . . يوجد النوع الأول في أى مجتمع ينطلق من أرض الإيمان . كذلك أعتقد بأن هذا الأدب هو الذى يجب أن يسود في العالم الثالث . هذا العالم الذى يتطلع إلى نهضة . . وأمامه مهام محددة .

» وهنا خطر لويس عوض على ذهن نجيب محفوظ بمناسبة تواجده في لندن ، فخرج

بالحديث يقول : »

«أما كان أجدى بلويس عوض بدلاً من تركيزه على بحث يهاجمنى أن يحدثنا عن وضع الأدب فى أوروبا الآن . . أما زالى الرفض شعاره . . هل وجد قضية يؤمن بها مثلاً . هل المصالحة بين الشرق والغرب بدأت تظهر فى الأدب هناك؟» .

● قبل عن نجيب محفوظ مرة بأنه يقف عقبة فى طريق الرواية العربية . من وحي هذا القول خطر لى السؤال :

● هل حدث تجاوز للحدود الروائية عندك من جانب جيل الشباب سواء فى مصر أو فى العالم العربى . أو على الأقل هل تلمح فى عطاء البعض إمكانات تتجاوز قادمة . . أرجو أن يكون رأيك بدون حساسية وبدون تواضع . وأيضاً بدون مجاملة ! ؟

- «الحقيقة أنا فى عالم الرواية جربت كافة أساليبها فيما عدا الرواية الجديدة أو اللارواية ، وإذن فكل ما يكتبه الروائيون من الأجيال التى جاءت بعدنا فى هذا النطاق لا يعتبر تجاوزاً لما كتبنا من ناحية التكتيك . ويقال - والله أعلم - إن بعض الروائيين العرب تجاوزونا وأنا للأسف لم أطلع على شئ من أعمالهم بسبب أزمة الحصول على الكتاب العربى» .

ولكنى أحب أن أضيف أنى لا أهتم بالتجاوز فى التكتيك ، فأنا شخصياً أعتبر أن الرواية تنقسم فى نظرى إلى نوعين رئيسيين : جيدة . أو غير جيدة .

والسؤال الذى يهمنى هو . ألم تكتب روايات جيدة وسط الأجيال التى جاءت بعدنا . والجواب بكل ثقة نعم . نعم . نعم . هنا وفى البلاد العربية ، إذن فتيار الرواية العربية يسير فى تقدم وأمان . . يصح أن يكتب أحدهم رواية ويتجاوز من حيث التكتيك وحده . ومع ذلك تبقى عديمة الجدوى إذا ظلت فى إطار الألاعيب الشكلية وحدها . كما أحب أن أضيف بأن أغلب الذين اخترعوا وسائل التكتيك الجديدة ليسوا من كبار الكتاب .

والكاتب المجود . . أهم من الكاتب المجدد ! ؟

الشباب أضاف . . وفي أسوأ الظروف :

● قلت لتجيب محفوظ :

في المجالات الأدبية الأخرى غير الرواية هل تعتقد أن الشباب قد أضاف شيئاً ؟
- « نعم . . أضاف شيئاً حقيقياً وفي أسوأ الظروف » .

النقد الآن في أزمة حقيقية :

● يقال بأن هناك أزمة نقدية . . هل توافق على هذا . . ما هي أسبابها إن كنت تؤمن بوجودها ؟

- للحقيقة توجد أزمة نقدية خانقة . وأنا أتكلم بصفة خاصة عن مصر . . بل نستطيع أن نقول بأن الأديب اليوم يشق طريقه متجاهلاً للنقد ومتجاهلاً منه . وشيء واضح الآن أنك تجد حملة رهيبة ضد مسرحية أوفيلم وهو مكتسح النجاح . وبالعكس نجد تمجيداً لشيء هو لا شيء في الحقيقة . . كيف وصل النقد إلى هذه الحالة السيئة ، لا شك أن لدينا نقاداً يملكون الموضوعية والأمانة والنزاهة والتأهيل من أعلى طراز ، ولكنهم لا يجدون مناخاً يحترم النقد ويقدره . . فيلذون بالصمت . وكان يجب أن لا نخلو صحيفة أو مجلة من ركن للنقد تستكتب فيه كبار الأساتذة . . لقد وجد كثير من النقاد المنحرفين لشيئ أسباب الانحراف ، وهؤلاء عصفوا بالثقة في النقد . حتى أصبح ملاحظاً الآن بأن النقد لا يقرأ أولاً يكاد يقرأ من كثرة « المقالب » التي شربها القراء من هذا الصنف من النقد . .

ولذلك فإن خير ما كتب في النقد في الآونة الأخيرة هو النقد الأكاديمي الذي

كتب عن عصور الأدب السابقة .

أقترح لكى يستعيد النقد مكانته وشخصيته والثقة فيه أن تصدر وزارة الثقافة مجلة للنقد فقط يجمع أنواعه لمسح كافة الفنون . . يجمع أنواعها . حتى تعود للنقد منزلته الأولى أيام نهضتنا الأدبية . . إن هذا النقد هو الذى صنع الأجيال التى تلت النهضة ! » .

● ما الذى أعطيته أنت وأعطاه جيلكم عموماً لحياتنا الأدبية ؟

- الذى فعله جيلنا فى اعتقادى هو أنه بتخصصه فى الرواية قد جعلها فنا عربيا سياسيا . وبذلك مهد الأرض نحو الخطوة التالية المنتظرة وهى الانطلاق نحو العالمية . . قبل أن تأتى كانت هناك مجرد نماذج وأمثلة فحسب . . بعد جيلنا أصبحت الرواية هى الفن الأدبى الأول ! ؟

الحرية . . والانفتاح الثقافى ورفض الرقابة :

● الوضع الثقافى الآن . . هل لديك ما تقوله بشأنه . وهل لديك وجهة نظر فيما ينبغى أن يكون عليه هذا الوضع ؟

- «الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى دراسة كبيرة ليس هنا مجالها . ولكنى أقول لك بأن أهم ما ينقصنا حتى تكون لنا حياة ثقافية حقيقية هو الحرية المطلقة . رفض الرقابة على الكتب وتخفيفها جداً بالنسبة للمسرح والفيلم . . الانفتاح الثقافى بكل شموله . يجب أن تعود لأسواقنا الكتب والمجلات العالمية حتى نكون على علم بما يجرى فى الخارج . . التشجيع المنظم والمتواصل لاكتشاف وتشجيع المواهب الجديدة بكافة الوسائل فى كل مجال » .

« نظر نجيب محفوظ إلى ساعة معصمه . . تجاهلت من جانبي هذه النظرة كانت

عندى أسئلة كثيرة أنتظر لها الإجابة . .

هممت بأن أطرح سؤالاً جديداً . ولكن توفيق الحكيم مرأمانا في محاذاة شاطئ البحر . . من جانبي رأيته أولاً . تغافلت ولم أنبهه نجيب لمروره . خاب هدفي فقد لمح نجيب محفوظ أيضاً . .

قال لى : أنظر . . الحكيم فى طريقه إلى « بترو » .

الأمر لله - أجبت . . هيا بنا . ولمت أوراق وغادرنا المكان إلى « بترو » وما إن رآنى توفيق الحكيم حتى ابتدرنى :
« استفردت به أنت اليوم » .

قلت : الدور عليك غداً « واندجنا فيما يدور من نقاش !

سبتمبر سنة ١٩٧٤

نجيب محفوظ

● كان الأدب مقرا . . وأنقذتني السينما بفيلوسها ! !

إذا كان نجيب محفوظ برؤيته الفنية المقتدرة ونفاذ هذه الرؤية داخل واقعنا الاجتماعى بكل جوانبه وأبعاده . فقد تمكن مع جيله من أن يجعل الرواية هى الفن الأدبى الأول فى عالمنا العربى ، بحيث أصبحت الآن تشكل أهم مساحة من خريطة حياتنا الأدبية ، وانطلاقاً من هذا فإن الأفلام السينائية التى أخذت من رواياته . . بجانب السيناريوهات التى كتبها لأعمال زملائه من كتاب القصة تشكل هى الأخرى ملامح بارزة من ملامح السينما المصرية . ومن هذه الرواية ذهبت إليه لأستطلع رأيه فى قضايا سينائية هو طرف فيها . . وقضايا أخرى من المهم أن نعرف رأيه فيها . .

● قلت لنجيب محفوظ :

منذ متى أقتربت السينما منك . . فالمعروف أن هناك فترة طويلة من حياتك كنت تكتب فيها والصمت يحيط بك . . هل سعت إليك السينما فى حينها . . أو بعد أن

واتتك الشهرة العريضة ؟

- الواقع أن السينما عرفتني قبل أن أعرفها . كان ذلك عام ١٩٤٧ على ما أعتقد . كنت قد كتبت « عبث الأقدار » و « رادويس » و « كفاح طيبة » و « خان الخليلي » و « زقاق المدق » وكانت « عبث الأقدار » هي التي رشحتني للسينما ، فقد قرأها صلاح أبوسيف واستشف أن كاتبها يمكن أن يكون سيناريسا ، وجاءني يعرض علي أن أكتب سيناريو فيلم « مغامرات عنزة وعيلة » . ولم أكن وقتها أعرف حرفاً واحداً عن السيناريو فتعلمت على يد صلاح خطوة خطوة كما يتعلم التلميذ حروف الهجاء . . وبعد أن انتهيت أهدافي مكتبة من السيناريو لأتعلم لغة السينما عملياً . . وظللت مدة طويلة أشتغل بكتابة السيناريو إذ لم تطلب مني قصة للسينما قبل عام ١٩٥٧ . . وكان للسيناريو فضل كبير علي كأديب . فقد عصمتني من العسر المادى الذى كنت أعانيه وكان الأدب وقتها رخيص السعر يباع بقروش . فأسعتني السينما بفلوسها . ولولا ذلك لكانت حياتي من الصعب تصورها . السينما مكنتني من أن أقدم لها المطلوب لأنفريغ للأدب الذى أريده .

● نلاحظ أنك لا تكتب سيناريوهات أفلامك . . بينما تفعل ذلك بالنسبة لقصص غيرك . . ألا يكون صاحب القصة عندما يكتب لها السيناريو أقدر من غيره على توصيل خصائص قصته . . خاصة بالنسبة لكاتب متمرس مثلك يجيد لغة السينما ؟ - الحقيقة . . لم أجد فى نفسى أبداً أى استعداد ولا رغبة لأن أكتب سيناريو أى قصة لى ، ويجوز أن يكون السبب الرئيسى لذلك أن السيناريو يتطلب تحوراً من القصة الأدبية لتصبح قصة سينائية . . وهذا التحرر أجده عندما أكون مشغولاً بكتابة السيناريو لقصة مؤلف غيرى . . لحظتها لا أجد صورة قصصى « مخيشه » عندى . . ثم إنى أشعر دائماً بأن مهمتى تنتهى عند كتابة أى قصة من قصصى . . بعد أن أفرغ منها ينتهى

دورى بالنسبة لها . ولا أحب أن أعود إلى قراءة عمل لى بعد الانتهاء منه . . هذه طبيعتى . . حتى الطبعات الجديدة من رواياتى لا أقدم على تصحيحها . أحب أن أتلخص تماماً من أى أثر لأى قصة لى لأبدأ كتابة عمل جديد .

● يقال إنك بهذا تتبعد عن تحمل مسئولية فشل الفيلم - إذا قدر له أن يفشل - متدبراً بأن مسئوليتك تنتهى عند كتابة القصة ذاتها كعمل أدبى ؟

= لم يبد عليه أن السؤال قد استثاره . . بهدوء جاءت إجابته . . .

إذا كان هذا حقيقياً فكيف أجد الشعاعة لأكتب السيناريو لقصص كتاب كبار ؟

● هل استطاعت السينما أن توصل رؤيتك بأبعادها المتعددة من خلال الأفلام التى

قامت على قصصك ؟

- علينا أن نتنبه إلى أن الكتاب إذا كان يمثل رؤية المؤلف خالصة . . فالفيلم يمثل هذه الرؤية من خلال عقول كثيرة . المخرج . المصور . المونتير وغيرهم ، فلا بد أن يحدث تغيير حتمى . والمهم عند المؤلف فى هذه الحالة ألا يحدث انحراف أو تحريف لفكرته الأساسية . وعليه أن يضع فى الاعتبار أن المجموعة الجديدة هى صاحبة القدرة على مخاطبة الجماهير بلغة السينما . وليس له هو هذه القدرة لأنه يخاطب قطاعاً محدوداً يتمثل فى القلة المثقفة . .

● بالنسبة للقصة الأدبية التى تباع للسينما . هل تنتهى مهمة المؤلف عند توقيع عقد البيع ويكون من حق من اشتراها أن يراها من الزاوية التى يشاء . أو من حق المؤلف أن يضع اشتراطات معينة يحافظ بها على القسمات الأساسية لروايته عند التنفيذ ؟

- من حق المؤلف أن يفعل ذلك . . إذا خشى على قصته من الضياع ، ولكن هذا لا يحدث غالباً لأن معظم من تقدم السينما أعماهم الأدبية يتعاملون مع الوسط الإنتاجى بروح الثقة والتفاهم . . والاتفاق الضمنى على الصورة التى تقدم بها القصة

مهما تغيرت وجهات النظر وتباينت الزوايا التى تقدم منها . . ما دام روح القصة لم يمس أساساً . .

● أخرج لك صلاح أبو سيف وحسن الإمام . . وحسام الدين مصطفى . .
وحسين كمال . . ويوسف شاهين . من منهم كان أكثر توفيقاً فى النفاذ داخل أعمالك
وبلورتها سينمايا ؟

= بلا مجاملة كل منهم أجاد فى حدود مفاهيمه وأسلوبه الخاص - فى اختيار
الطريقة التى وجدها ملائمة لتقديم عمل . وكان صادقاً مع نفسه فى اختبار الأسلوب
الذى يراه أقدر على ذلك . .

● لك أعمال أدبية تحمل طابع مرحلة فنية معينة . مثل « زقاق المدق » و « بداية
ونهاية » والثلاثية وغير ذلك . وأعمال أخرى أخذت مساراً مختلفاً من حيث الرؤية والمعمار
الفنى . مثل « الشحات » و « ميرامار » و « ثرثرة فوق النيل » أى مرحلة منها كانت السينما
أكثر إجادة فى التعبير عنها ؟

- فى اعتقادى بالنسبة للأفلام السينمائية التى قامت على رواياتى لا توجد مرحلة
أفضل من مرحلة بالتحديد القطعى . . هناك على الأصح أفلام أحسن من أفلام . .
فى المرحلة الأولى نجد أفلاماً قد بلغت ذروة التفوق والامتيار ، ونفس القول ينطبق على
المرحلة الثانية . وهناك أفلام لم تصل إلى هذا الامتيار ، لافى المرحلة الأولى ولا فى
المرحلة الثانية . .

● على ضوء الاتجاهات التجريبية التى بدأت تجرف السينما عالميا . حيث أصبحت
لغة الكاميرا هى الإيقاع الأساسى فى الفيلم . . ما هو دور القصة الأدبية مستقبلاً ؟
- المخرج لكى يكون مؤلفاً يحتاج إلى موهبة التأليف بما يعادل تماماً موهبة الإخراج
وإجادة استعمال الكاميرا . وأعتقد أن هذا النوع من رجال السينما هم أقدر الناس على

إعطاء فيلم سينائي متكامل الرؤية . . فإذا كان الروائي يفكر من خلال الكلمة . . والمسرحى من خلال الدراما . . فصاحبنا هو الذى يفكر فى موضوعه من خلال اللغة السينائية مباشرة . وهنا تصلنا هذه اللغة تلقائيا لا فجوات فيها ولا شروخ . . أما فى الوضع التقليدى للفيلم فسيكون عندنا مؤلف ومخرج . . ثم محاولة للتعبير باللغة السينائية تعتمد على التوفيق بين رؤى متباينة من خلال التنسيق بينها . . حتى لتكاد تشبه الترجمة أحيانا . .

والمشكلة أساساً هل يوجد من المخرجين المؤلفين ما يكفى للإنتاج السينائى . . إذا لم تكن الإجابة تأكيداً فلا غنى للفيلم عن القصة سواء كانت مكتوبة للسينما أصلاً أم مستمدة من قصة أدبية . .

● فيلم « الاختيار » إلى أى حد تقاربت رؤيتك مع رؤية مخرجه . وإلى أى مدى تباعدت ؟ .

- الحقيقة أن يوسف شاهين كان صاحب فكرة الفيلم وكاتب السيناريو ، وكنت أنا مؤلف القصة . . وأنا لا أقدم على تأليف قصة للآخرين فى السينما إلا تحت أحد شرطين : أن تكون موافقة لرؤيتى أو على الأقل لا تخالفنى . بالنسبة « لاختيار » الفكر الذى فيه لا يخالف رؤيتى . .

● من هى الممثلة التى أدت دوراً فى واحدة من رواياتك بالطريقة التى تمتيت أن تراه بها على الشاشة ؟

- التمثيل بدون شك هو من أقوى العناصر الفنية فى الفيلم المصرى . وأحياناً أفكر بأن العناصر الفنية الأخرى للفيلم لو كانت فى مستوى الأداء الرائع من بعض طاقاتنا التمثيلية لوصل الفيلم المصرى إلى العالمية بحق . . وبالنسبة للسؤال . . شادية وسعاد حسنى ونادية لطفي وسناء جميل ، كل واحدة منهن أدت دورها فى رواياتى بطريقة

تسم بالاقتدار الفنى المتمكن .

● أخذ القطاع الخاص فى السينما حرية لم تكن متاحة له . وبدلاً من أن يشكر هذا فيقدم أفلاماً نظيفة وذات مستوى ، وجدناه - وخاصة العناصر المتطفلة على المهنة - يفرق السوق ببعض أفلام لا أقل من كونها هابطة ومبتذلة . إنهم يستهدفون الربح على حساب أى شئ ، بل لعلهم فى الماضى كانوا أكثر مراعاة للاعتبارات الأخلاقية ، هل لديك ما تقوله لهؤلاء السادة الذين عندهم حب الفلوس وليس عندهم بعد النظر؟ - أوافقك تماماً على أن أكثرية الأفلام دون المستوى المطلوب . . وأن الجيد قليل . ولكن علينا أن ندرك أن مطالبة رأس المال بالتضحية بالربح فى سبيل الفن مطلب عسير . . ولكن من الممكن ملافاة الحال بأمرين . .

أولاً - أن تقتصر هيئة السينما فى إقراضها للمنتجين على الأفلام الجادة بكل ما تعنيه الكلمة وألا تنظر نظرة تجارية بالنسبة للإقراض ، إذ يجب أن تكون نظرتها فنية واجتماعية بحجة . . وأعتقد أنها فى جميع الأحوال سوف تستطيع أن تسد القرض . كما أنه يجب عليها أن تعود إلى الإنتاج ولو فى نطاق محدود . . نطاق إفراح المجال للمواهب الجديدة التى أثبتت جدارتها .

ثانياً - أنت تعلم أن يوسف السباعى أخضع دور السينما الأجنبية لصالح الفيلم المصرى . وأن هذا القرار هو صاحب الفضل الأول فى نجاح ورواج الفيلم المصرى لأنه فرض على جميع الرواد - وكلنا يعلم أن رواد الفيلم الإفرنجى كانوا هم الأغلبية الساحقة من جمهور السينما - فضلك الرواج الهائل يرجع أولاً وأخيراً إلى هذا القرار . . وهو حق للسينما المصرية باعتبارها نشاطاً وطنياً يحتاج للتشجيع والحماية . . ولكن فى الوقت ذاته لا يجوز أن تكون هذه الحماية مطلقة . . فالامتياز فى العرض يجب أن يقتصر على الأفلام الجيدة دون الهابطة . . وعلى الأفلام الهابطة أن تنتظر دورها للعرض فى الدور

المصرية . . فلا بأس من تأخيرها . . بل لعل الخير فيه . . وبشرط ألا تعرض الدور الأجنبية إلا أفلاماً ممتازة ، أما إذا كنا سنؤخر فيلماً وطنياً هابطاً لنفسح الطريق لفيلم أجنبي هابط . . فالهابط الوطني أحق بالعرض طبعاً . بهذا الأسلوب يمكن مقاومة الهبوط في السينما وضمان عدم عرض أفلام غير ناضجة مصرية وأجنبية .

● المناسبة . . ظاهرة رواج الفيلم المصري هل ستحقق له الاستمرار؟

- أولاً رواج الفيلم المصري أساساً مفيد وتستحقه السينما المصرية . . وهذا الرواج من شأنه أن يشجع المنتج المصري على الارتفاع بالمستوى . . فالربح منطلق للتجويد أكثر من الخسارة والإفلاس ، ولكن يجب أن نضع ضوابط بالشروط التي ذكرتها في الإجابة السابقة . . وأحب أن أذكرك في هذه المناسبة بأن أول من أظهر المخرج الممتاز لفيلم «أريد حلاً» كان رمسيس نجيب . . كما فعل القطاع العام عندما أظهر موهبة شادى عبد السلام ، من هذا نجد أن المنتجين الكبار يعرفون واجبه . . وإنما الخوف يأتي من المتطفلين والمغامرين . . وبهذه المناسبة أجدنى أتساءل لماذا لم يصدر حتى الآن قانون صناعة السينما وكذلك قانون نقابة السينائيين . . إنها يكفلان مناخاً أفضل للارتفاع بالمستوى وإبعاد المتطفلين من ساحة المهنة .

أما بالنسبة للرواج فسوف يعتمد ما دام الفيلم المصري مكفول العرض . . وهناك ملايين لا ملهات لها غير السينما سواء أسرها الفيلم أم أسخطها . .

● أين تقف أنت من وجهة نظر تحديد عرض الفيلم بأسابيع محدودة مهما حقق من دخل وذلك لإفساح المجال لأفلام أخرى تنتظر العرض . . ومن وجهة نظر مضادة ترى أن يستمر الفيلم ما دام يغطي نسبة الدخل الأسبوعية المقررة لاستمرار عرضه ؟

- لا يخفى عليك أن النشاط الاقتصادي كان حراً بلا قيد . . فلما ألحقت حرته ضرراً بالناس نشأت نظريات لتحقيق العدالة الاجتماعية وأوجبت الحد من حرية

القادرين ضماناً للعدالة العامة . . فما دام عدد دور العرض محدوداً . . وما دام الفيلم المعروض قد غطى تكاليفه وربح ففي هذه الحالة يجب أن تعطى الفرصة لغيره . . ولهذا فأنا من أنصار التحديد حتى تتوفر دور العرض الكافية . وخاصة إذا تذكرنا أن الرواج ليس دائماً صنو الجودة .

● ما هو موقع السينما المصرية الآن من خريطة السينما العالمية ؟

— السينما لا تخرج عن كونها نشاطاً من أوجه النشاط العام بتأثر وضعها بدرجة الحضارة التي بلغتها الأمة . . فلا تتوقع أن نكون من العالم الثالث في كل شيء ما عدا السينما . . والواقع أن الذى يحدد مستوى الفيلم فى النهاية . . عقل وكاميرا . وجمهور ودولة . .

● البعض يقول بأن أفلام زمان كانت أفضل من أفلام هذه الأيام ما رأيك ؟

— كل ما يمكن أن يقال . . إن اتجاه الفيلم فى بدايته كان أقرب إلى التجويد . والרגبة فى تثبيت صناعة جديدة فى الواقع المصرى ، ولهذا كان أبعد من الروح التجارية البحتة . . لكن لا شك أن الأفلام الجيدة الحديثة تفوق بمراحل المستوى الفنى للأفلام القديمة .

● الأساء الجديدة فى السينما من حيث الإخراج والتصوير والتثيل هل شكلت

عندنا ظاهرة سينمائية متميزة ؟

— لا شك أن المواهب الجديدة أثبتت قدراتها وجدارتها . وأنها فى أى ظرف من

الظروف تبحث عن الجدية وتحترم الفن وتسعى إلى التجويد .

● بالنسبة للدول النامية التى تواجه مشاكل تطوير واقعها المتخلف . . أى

الاتجاهات السينمائية ألزم لها لتمكينها من القيام بدور ما فى دفع واقعها إلى الأفضل ؟

— أكثر ما تحتاج إليه الدول النامية هو الفيلم الواقعى التربوى بالمعنى الإنسانى العام .

ولعل حاجتها إلى الأفلام الروائية القصيرة والتسجيلية أكثر من حاجتها إلى الأفلام الروائية . .

● قلت لنجيب محفوظ :

مهما اختلفت النظرة إلى السينما بين عديد الاتجاهات فهناك شبه إجماع على أنها وسيلة اتصال جماهيرية بالغة الخصوصية والتأثير . . ومهمة أى فن فى اعتقادهى هى أن يطور العالم . . أن يسهم فى تغييره إلى الأفضل . . ولكننا نلاحظ أن موجات التجديد فى السينما أصبحت غالباً تعتمد على لعبة الإبهار بالشكل . . وبدلاً من أن تقدم للمتفرج العادى مفاتيح لفهم العالم تقذف فى وجهه بالتعقيد والإغراب والضباب باسم المعاصرة . . وقد بدأت هذه الموجات تتسرب إلى السينما فى الدول النامية التى لم تحل مشكلة الحفاء والغذاء بعد . . هنا يتبادر سؤال . . كيف يمكننا أن نغير العالم إذا لم نفهمه . . أولاً . .

أنت كرجل فكر وفن ، وبالتأكيد تشكل هذه المسألة جانباً من هومو . . فى رأيك . . كيف يمكننا أن نحقق التوازن بين وجهة النظر المتسائلة . . لماذا لا تقدم ما يفهم . . وبين الإجابة المعترضة . . ولماذا لا نفهم ما يقدم . .

— أى فن فى الدنيا له جمهور أساسى . ولا يجوز لفن أن يتجاهل جمهوره الأساسى . وإلا لما كان هناك مبرر لوجوده . فالكاتب يتحمل المسؤولية أمام قطاع معين ربما يصل إلى عشرات الألوف ، ولكنه فى النهاية يعتمد على ويخاطب نوعية معينة من الناس ولكن الفيلم يتحمل مسؤوليته أمام عشرات الملايين . . والمسألة الجوهريه والصعبة ليست كيف أعبر عن ذاتى . . وإنما كيف أعبر عن ذاتى وأن أصل بهذا التعبير إلى جمهورى دون التضحية بالقيم الفنية . . أى اختلاف فى ركن من هذه الأركان على الفنان أن يتحمل مسؤوليته . . إنها عملية غير مجدية بل عملية مضحكة أن أصنع فيلماً

ليصفق له الناس في باريس ولا يستفيد منه أحد هنا.. لهذا اقترحت أن تعود الهيئة إلى الإنتاج لمساعدة المحرين في نطاق بعيد عن التجارة.. لتصبح أعمالهم أشبه بالأمثلة والنماذج. ومن خلال الحوار الذي يدور حولها يمكن أن تكشف السينما المستقبلية الطريق الأفضل للتعبير عن رؤيتها..

● ما رأيك في تجربة تقديم الأعمال الأدبية العالمية معربة سينمائياً كما فعل حسام الدين مصطفى بقصة «الإخوة كرامازوف» التي قدمها هنا قبلها باسم «الإخوة الأعداء» وهل استطاع حسام أن يقدم خصائص القصة مع تطويعها للبيئة المصرية.

= استفادت السينما دائماً بشوايخ الأعمال الأدبية العالمية. لقد شاهدنا روائع الأدب الفرنسي والإنجليزي عن طريق الفيلم الأجنبي وعندما يبادر مصري للاستفادة بهذه الأعمال فإن الإمكانيات المادية تحول بينه وبين تقديمها في أماكنها الأصلية كما يفعل الفيلم الأمريكي.. ولا تصبح لديه وسيلة غير التخصيص.. وبفضل هذه الطريقة أمكن لجمهور عريض من غير المثقفين أن يتذوق دوستوفسكي وغيره.. إنها طريقة يجب أن تدخل في برامج إنتاجنا.. وبخاصة إذا علمت أن هذا الإنتاج يعتمد على «لطش» الأفلام الأجنبية غير ذات المستوى، وبالنسبة لفيلم «الإخوة الأعداء» فيوسفنى أننى لم أره حتى أصدر حكماً.. هل رأيته أنت.. ما رأيك..؟

● «قلت له انطبعاى عن الفيلم.. ولن أذكرها هنا فالقارئ يهيمه رأى نجيب محفوظ لا رأى أنا».

عدت أتابع الحديث مع نجيب قلت: من هو الوجه السينمائى الذى تريحك مشاهدته على الشاشة.. وما هو الصوت الغنائى الذى تعطى له أذنك بارتياح أيضاً.. ومن هو الممثل المصرى الذى ترشحه للعالمية؟

-وجه سعاد حسنى أرتاح لمشاهدته على الشاشة.. وبعد أم كلثوم أحب أن أسمع

صوت فيروز وعفاف راضى . . ومحمود مرسى هو الممثل المصرى الذى يصل إلى مستوى كبار النجوم العالميين .

● سؤال أخير . . كنت أعرف سلفاً أنه لن يجيب عنه : اهنتك لو فرض وعرض عليها أن تمثل فى السينما هل توافق ؟

- أطرق طويلاً . . بعد الصمت نظر إلى . . فهبت لغة النظرة . . امتنع عن الإجابة مهما يكن من أمر ، كان الامتناع يتضمن الإجابة وإن كانت غير مباشرة .

« مايو » ١٩٧٥

نجيب محفوظ

الأديب لا يعرف الطبقات . . دائماً يعرف الإنسان ! :

تعودت في كل حديث أجرته مع أديبنا الكبير نجيب محفوظ . أن أطرح عليه تساؤلاتي وأن أتناول معه في قضايا ذات جوانب متعددة ومتباينة . في السياسة والأدب والثقافة والفنون ، مستطلعاً وجهات نظره التي تضيف إلى رؤيته الفنية التي يحققها من خلال أعماله الإبداعية . . لكن هذه المرة عندما أزمعت إجراء هذا الحديث معه لم يكن في خاطري إلا فيلم « الكرنك » المأخوذ عن قصة له تحمل نفس العنوان ، فالفيلم بما يدور حوله وبما أثاره من تعليقات وآراء . . وبعشرات الألوف الذين تدافعوا لمشاهدته يوشك أن يصبح ظاهرة سينائية . وغداً يشكل مساحة شاسعة لا بالنسبة للمشغلين بمسائل السينما والفن فحسب . . وإنما أيضاً بالنسبة لقطاعات عريضة من جماهير شعبنا .

وحول الفيلم وما يثيره . . كان هذا الحديث مع كاتبنا المبدع الكبير نجيب محفوظ .

● قلت لأدينا نجيب محفوظ :

فيلم الكرنك المأخوذ عن قصتك التى تحمل نفس الاسم . . هل حقق رؤيتك التى تضمنتها القصة . . أقول هذا لأننا تعودناك دائماً تقول بأن علاقاتك بأى فيلم مأخوذة عن قصة لك تنتهى عند القصة ذاتها ؟

- وأجابنى نجيب محفوظ فى حماس واضح :

- حقق الفيلم رؤية القصة لدرجة كبيرة..وزاد على ذلك تغطية الفترة الزمنية التى تلت مرحلة كتابة القصة ، ولقد عاب البعض على ممدوح الليثى الذى أدمج حرب أكتوبر فى الفيلم ولا غبار عليه فى هذا . . والحق أن حرب أكتوبر لو كانت قد حدثت قبل أن أفرغ من كتابة القصة ، لكنت أعدت النظر فى الصورة التى ظهرت بها القصة . إن حرب أكتوبر تمثل شيئاً إيجابياً مشرفاً . . وإذا كانت قد توقفت عند لحظات المראה الشديدة فقد فعلت هذا مضطراً لأنى كنت أستهدف توافقاً مع مضمون العمل وتوافقاً مع ما استهدف التعبير عنه . وتوافقاً مع رؤيتى ككاتب عليه أن يصور الحقيقة بغير ما تغطية لدلولها . . وأعود للقول بأن حرب أكتوبر لو كانت سبقتنى لأعدت النظر فليس المفروض أن أغم الناس ! !

● الكرنك . . بعيداً عن قيمة القصة كنص أدبى . . من فى رأيك كان له التفوق

من حيث الفيلم السينمائى . . الإخراج . . السيناريو . . التصوير . . التمثيل ؟

- أساساً يجب أن نبعد الإخراج من القضية هنا . . لأن الإخراج مسئول عن كل شئ فى الفيلم . . أى فيلم . . على عاتقه تقع مهمة تفوقه . . أو نتائج انهياره ، إن أى تفریط للفيلم ينسحب على الإخراج وأى قدح فيه هو إدانة له . . إن بقية العناصر تتحمل مسؤوليات جزئية ، أما الإخراج فمسئوليته شمولية . . تبقى بقية العناصر التى ذكرت ، لقد تضافرت جميع هذه العناصر فى إنجاح الفيلم ولكن عنصر التمثيل كان

واضح التفوق . . فبالك بفيلم مثل الكرنك توفرت له عناصر تمثيلية ممتازة ، إن دور فريد شوقي لا يمكن أن ينسى . . فريد طوال عمره ممثل محبوب . . ولكن أعماله الأخيرة تؤكد أنه فنان خصب ينطوى على إمكانيات فنية هائلة . . (الكرنك) يقول هذا و«مضى قطار العمر» يشهد بذلك . . إنه فنان قادر على التطور . . والعطاء المتفوق . .

● لا أعتقد أن فيلماً عربياً أو أجنبياً في مصر قد حقق من الإيرادات المذهلة ما حققه فيلم الكرنك الآن . . على الأقل في حدود ما أعرف . . قد يكون الفيلم ممتازاً وأنا لست هنا بصدد رأي الخاص فيه – ولكن هذه الإيرادات المذهلة هل ترجع إلى دعاية أعطاهها صلاح نصر مجاناً للفيلم بواسطة الدعوى التي رفعها ضده . . فهو بهذا قد نبه الجمهور إلى أن الفيلم يدور حول الإرهاب الذى تعرض له بعض الناس بواسطة أجهزة القمع ؟

– نجاح أى فيلم يرجع أساساً إلى عاملين أساسيين . . عامل أصلى هو مضمون الفيلم المؤدى بقيمة فنية معينة وعوامل غير أصلية ، ولكن من غيرها لا يتحقق النجاح للفيلم ، عوامل تتعلق يجذب الجمهور إلى الفيلم على رأسها النجوم . . ثم الدعاية . . وفيلم (الكرنك) توفرت له كل العوامل الأصلية والفرعية .

مضمون يعرض فى لحظة تستقطب اهتمام كل الناس بالسياسة . . نجوم على أعلى المستويات . . دعاية جاءت له من السماء . كل هذا جعله يحقق النجاح الذى لم يحققه فيلم مصرى آخر . . الدعاية مها تكن ضخامتها لا يمكن أن تنقذ فيلماً هابطاً من مصيره . . لأنها قد تخدع الجمهور بمجرد حفلة واحدة أو أكثر ، ولكن بعد ذلك تتضح وبواجه الفيلم مصيره . . الدعاية تجلب الناس للشيء الناجح لتؤكد . . أما الشيء الفاشل فلا قوة فى الأرض يمكنها أن تنقذه . . سذاجة أن يقال إن أى فيلم قد نجح لدعايته أو نجومه . . الفيلم كل متكامل من حيث الموضوع والإخراج والسيناريو

والتمثيل . والتصوير والمونتاج وبقية المؤثرات التى تعطينا الفيلم فى صورته النهائية .
● ما هى الحثيات التى اعتمد عليها صلاح نصر فى رفع الدعوى ضد المنتج وضدك ؟

- أعتقد أنه يتعرض لمحاكمة فى دعاوى مرفوعة ضده ولا يصح أن يكون عرضه لهجوم من أى نوع من شأنه أن يؤثر على مركزه ، وقد بلغه أن شخصيته فى الفيلم بالاسم ، فلما عرض الفيلم تأكد له أن ما وصل إليه غير حقيقى . . وانضحت هذه الحقيقة للمحاكمة فلم تأخذ بوجهة نظره فى منع عرض الفيلم . . خالد صفوان من خلال الفيلم رمزاً للإرهاب ولكنه لم يتحدد بشخص معين :

● على ضوء الأفلام السياسية التى عرضت فى مصر . « زائر الفجر » و « الكرنك » هل بلورت السينما المصرية رؤية سياسية لها ملامحها الخاصة ؟

- إن الفيلم عموماً هو نوع من نقد المجتمع يستهدف التركيز على قيمة معينة من خلال إدانة نقيضها أو الهجوم على شىء معين للإيجاء بالبديل له . . وهو بهذا يصبح سياسياً فى حقيقته ولكن بطريق غير مباشر . أما الفيلم السياسى فهو نقد للحياة السياسية أو بعض جوانبها من خلال وضوح الزاوية السياسية التى ينطلق منها . . ومن هذه الناحية أعتقد أنه قد حقق أغراضه . .

وهناك نقطة أحب أن أتوقف عندها . . مغالطة أن يقال إن الفيلم السياسى بدأ من سنة ١٩٧٥ أو أن يؤرخ له من هذا العام . . إن الأفلام السياسية لم تبدأ حديثاً ، حتى قبل ثورة يوليو كانت هناك أفلام سياسية أذكر منها فيلم « لاشين » ، بعد الثورة هناك الأفلام المأخوذة من قصص سياسية . . أما أن يقال إن الفيلم السياسى بدأ اليوم فهذا زعم لا يقوم على أساس من الناحية التاريخية . . ثم ماذا يقال عن أفلام مثل « رد قلى » و « فى بيتنا رجل » و « هارب من الأيام » و « شىء من الخوف » و « الأرض »

و«يوميات نائب في الأرياف» وغيرها . . والأصح أن يقال عن «زائر الفجر» و«على من نطلق الرصاص» «والكرنك» أنها آخر أفلام سياسية وليست أول الأفلام السياسية .

● في رأيك . . هل الذين يقدمون على إنتاج الأفلام السياسية في مصر . . يستهدفون الربح عن طريق النجاح الذى تحققه إثارة الأفلام السياسية . . أو هم أصحاب رسالة يتوخون تأكيدها بهذه الأفلام ؟

- أنا لا أستطيع أن أجوس داخل السرائر لأحكم عليها . . ولكننى أستطيع القول - لو كنت منتجاً - بأن هناك هدفين لا يغيبان عني . الجودة من جهة . . والربح من جهة أخرى . . لأننى عندما أقول لك : لقد نويت يا عبد العال أن أشتغل منتجاً ولا تعينى مسألة الربح فى شيء . . فأنت حينئذ سوف تشك فى عقلى . . ولكن العيب أن أقول لك إنه لا شيء يعيننى غير الربح وحده . . ولأضرب لك مثلاً . . هناك تاجر أمين ولكنه يستهدف مثلاً الربح ، وهناك تاجر غشاش لا يهجمه غير الربح . . إن كل المنتجين الأصلاء يقدمون الفن الجيد وفى خاطرهم الربح . . أما الدخلاء على مهنة السينما أساساً فهم الذين يفكرون فى الربح وحده ! !

● شاهدنا فى السنوات الأخيرة هنا بعض الأفلام الأجنبية السياسية الممتازة «زد» و«قضية مائيه» و«انتهى التحقيق» هل يمكن أن يقف «الكرنك» ندّاً لهذه الأفلام ؟ .

- للأسف سمعت عن هذه الأفلام وقرأت عنها ولكن لم تتح لى فرصة مشاهدتها ليتمكننى الإدلاء برأى يستند على الموضوعية ، فى العشر السنوات الأخيرة لم أشاهد إلا أفلاماً تعد على أصابع اليد الواحدة . . وبالنسبة لهذه الأفلام فأنا أعتقد من خلال مشاهدتى لفيلم الكرنك ومن خلال ما قرأته عن هذه الأفلام فإن فيلم الكرنك لا يقل

عنها امتيازاً مع اختلاف المستويات والإمكانات بين هنا وهناك !

● هناك وجهة نظر تزعم أن رؤية الفيلم تؤكد على ثورية الطبقة المتوسطة وصلابتها بينما تدين الطبقة الكادحة . . إذ لم تتحمل تعنت الإرهاب . وانهارت في النهاية ، بل أصبحت في خدمته . . هل كانت روايتك تعنى هذا . . وهل لوكان لك دور في إعداد الفيلم كنت توافق على أن ينحو الفيلم هذا النحو؟

- الواقع أن الطبقة الثورية بالمعنى المقصود في مصر وفي غيرها نشأت أساساً من البرجوازية الصغيرة . . والطبقة الكادحة في الفيلم هي ثورية أيضاً . . والانحراف لم ينشأ من داخلها . وإنما فرض عليها قهراً . . وأنا لم يكن في خاطري أن أركز على طبقة معينة . . إن أى أديب يكتب لا يكون في ذهنه سوى الإنسان ، أما التحديد الطبقي فيأتى أساساً من الممتئين للنظريات السياسية . . ومرة أخرى أكرر أن الأديب لا يعرف الطبقة وإنما يعرف الإنسان . وأنا عمري لم أفكر في طبقة بعينها إطلاقاً . . إن العاطفة الأساسية في رواياتي هي السعي للعدالة الاجتماعية للمجتمع ككل وليس كطبقة . . إن العدالة قيمة إنسانية في صالح جميع البشر حتى الأغنياء الذين تتم على حسابهم العدالة . . إذ يتحولون إلى ناس أفضل لوكانوا يعلمون . . أبناء الإقطاعيين في مصر لقد أصبحوا الآن أطباء ومهندسين في خدمة المجتمع والتنمية . . وأصبحوا رجالاً يساهمون في المجتمع ويحققون إنسانيتهم . . لوكانوا قد نشأوا في ظل الأوضاع القديمة لأصبحوا في الغالب مجرد أغنياء يبعثرون أموالهم في كل ما من شأنه أن يسقط قيمة الإنسان . . ولكن ثورة يوليو أنقذتهم من هذا المصير . . أما وجهة النظر التي ذكرت في سؤالك فهذا تفسير نظري لم يخطر لي على بال ولا أهتم به إطلاقاً !

● نموذج خالد صفوان الذي قدمته لنا في (الكرنك) ما هو المناخ الذي يفرزه . . وما هو المناخ الكفيل بأن يقينا شر وجوده ؟

- فى كلمة واحدة . . خالد صفوان مع الديكتاتورية تنمو عضلاته . . ولكنه فى ظل الحرية والديمقراطية وسيادة القانون لا يمكن أن يتحسس وجوده . . حتى إذا وجدت استثناءات لهذا مثل ما يحدث من المخابرات الأمريكية ، فإن نور الديمقراطية سرعان ما يكشفه . . وهذا الذى يحدث من إدانة للمخابرات الأمريكية ما كان يمكن أن يحدث فى النظام الهتلرى مثلاً .

● هناك عبارة جاءت على لسان خالد صفوان فى الفيلم تقول : كلنا مجرمون وضحايا . . كيف يتساوى المجرم مع الضحية ؟

- العبارة التى تفوه بها خالد صفوان قالها بعد أن تجرد من نفوذه وتساوى بضحاياه بعد سجنه . . وهى فى الرواية جاءت خلال وجوده فى مقهى «الكرنك» ويصدها منه فى المقهى تحمل تعبيراً معيناً لأنها موجهة إلى الشعب المصرى متضمنة شخصه . . فهو يعنى أنه والشعب المصرى كانوا ضحايا التعذيب . . لأن الذى يعذب والذى يقع عليه التعذيب كلهم . . سواء ، منهم ضحايا التعذيب وهم مجرمون لأنهم بسكوتهم يتحملون المسؤولية من كل ما كان يمارس من اعتداء على إنسانيتهم ولا يمكن تبرئة الشعب من مسؤولية ما حدث . . فالظالم لا يوجد إلا فى وجود من يقبل الظلم . . ولكن فى الفيلم اختلف مكان العبارة . . فقد قالها وهو فى السجن وهذا ما أعطى العبارة مدلولاً غير مدلولها فى الرواية . .

● كان الناس يتساءلون خلال مشاهدة الفيلم فى ذهول ودهشة . . أحقاً حدث هذا ؟ . أنت لم تستمد القصة من فراغ بالتأكيد ، كانت هناك أرضية انطلق منها خيالك . . ولكن أحقاً كان يحدث هذا ؟

- الحقيقة أن ما تخيلته وجعل الناس يقولون : أحقاً حدث هذا ؟ اتضح أنه لا شئ يذكر بما وقع ، إن الكتب التى صدرت عن ضحايا التعذيب تذكر وقائع

يتضاءل بجانبها ما جاء في الفيلم . . ولوثأخر نشر رواية (الكرنك) بعد نشر هذه الكتب لما وجدت في نفسى الشجاعة لنشرها ! !

● زعم البعض أن فيلم «الكرنك» هو ضد ثورة يوليو ما رأيك ؟

- الكرنك يدين الإرهاب . . وهو سلبية لوثت ثورة يوليو ولا علاقة لها بروح الثورة ومبادئها . . وفي الفيلم اعتراف واضح بمزايا ثورة يوليو . . وغير مقبول أن يتصور البعض أن إدانة الإرهاب إدانة للثورة . . وأنا أتحدث هنا عن الفيلم ولا أتحدث عن الرواية . . ثم إن الفيلم يمجّد ثورة التصحيح وهى جزء من مسار ثورة يوليو ومن إنجازاتها . .
أبريل سنة ١٩٧٦ . .

الدكتور محمد عزيز الحبابي

أدب الغموض . . عجز لا أحترمه !

زار القاهرة في الفترة الأخيرة الدكتور محمد عزيز الحبابي مستشار البحث العلمي بوزارة التعليم العالي بالجزائر وعميد كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالمغرب منذ سنوات . والدكتور الحبابي مفكر مغربي له مكانته المميزة لدى الدوائر الثقافية في العالم الثالث . . وله دوره البارز في إثراء الفكر العربي والتأثير في الفكر الأوربي أيضاً . . فقد اقتحمت كتبه بحسارتها وثورتها . ومعاناتها . واقعنا العري المعاصر . . غوصاً في داخله . وكشفاً لمكوناته . . وحاولت أن تجد لنا طريقاً ملائماً نسلكه وسط عديد الطرق المتباينة . ولتكون لنا ممراتنا المرصوفة وسط أدغال العصر وغاباته . . وليمكننا أن نتخطى أزمتنا الراهنة . ويعود لنا من جديد دورنا في الإسهام الحضاري للإنسان . ومؤلفات الدكتور الحبابي تغطي بجانب العربية كثيراً من اللغات الأخرى . لأن أغلب كتبه ودراساته المكتوبة بالفرنسية والعربية قد ترجمت إلى ما يزيد على ثلاثين

لغة . لأنها تجتهد دوماً في أن تقدم رؤية مفكر شريف تؤرقه هموم العصر وتعذبه مشاكل الحضارة . فيحاول أن يبحث عن مستقبل يكفل الخلاص . ويعصم إنسان هذا العصر من طوفان التقدم الزائف الذى يكرب هذا الإنسان ويعصرها .
والدكتور الحبابى هو صاحب مذهب « الشخصية الواقعية » ورائد هذا الاتجاه فى عالمنا المعاصر . وهو وإن كان يتوافق ويتلاقى مع الاتجاه الشخصانى فى فرنسا والذى كان رائده هو المفكر « ايمانويل موبنى » إلا أن مفكرنا قد تخطاه ليلور شخصية واقعية جديدة . . والكلمة التالية على لسان المفكر « اندريه فوالك » يمكنها أن تعطينا مؤشراً للمكانة التى يحتلها الدكتور الحبابى لدى الدوائر الفكرية والجامعية فى الغرب حيث يقول :

« إن رسالة هذا الفيلسوف العرنى تستحق أن يتنبه لها الشرق والغرب لما فيها من أصالة وعمق » وما يشابه هذا قاله « منديس فرانس » رئيس وزراء فرنسا الأسبق وغيره من المفكرين ، ولقد بلور الدكتور الحبابى مذهبه هذا فى كتابه « من الكائن إلى الشخص » وكذلك فى كتابه « الشخصية الإسلامية » والكتابان أصدرتهما دار المعارف بالقاهرة . . وكذلك كتاب « من الحريات إلى التحرر » عن دار المعارف أيضاً .
والدكتور الحبابى هو رئيس ومؤسس اتحاد كتاب المغرب العرنى . . ومدير ومؤسس مجلة « آفاق » العربية . ومدير مجلة « الدراسات الفلسفية » بالفرنسية والعربية . ومدير ومؤسس « دار الفكر » بالرباط . . وعضو جمعية رجال الأدب بفرنسا . . وفى مؤلفاته المتعددة أحرز شهادات الدكتوراه بعض رجال الفكر والأدب من جامعات مختلفة . . وقد نال عدة أوسمة وجوائز عالمية تقديراً لشخصه وفكره . . وقد انتهزت زيارة مفكرنا الكبير للقاهرة لأجرى معه هذا الحديث .

* باسم الحب أتهم ! * فى المشرق يتجاهلون فنوننا

من المهم فى عصر يشابك مصيره . . وخصوصاً فى عالمنا العربى الذى يعتبر الوحدة المنتظرة هى حلم تاريخه . . من المهم أن تتبادل الأقطار العربية ما لديها من ثقافات فهل ترى أن حركة التبادل بين الثقافات العربية تتم كما ينبغى . . أم أن هناك قصوراً من الأجهزة المسئولة عن هذه المهمة ؟ .

* * *

— أرى أنه ليست لنا ثقافات عربية متعددة . . إنما هى ثقافة واحدة . . بدليل ما ينشر فى القاهرة أو فى بيروت أو دمشق ، هو ما يغذى الفكر العربى بصورة عامة سواء فى هذه العواصم أو فى مكناس أو وهران أو الدوحة . . فلو انكشيت كل جماعة على إنتاجها الإقليمى المحض . . لما جاز لنا أن ندعى بأن هناك عالماً عربياً له ثقافة تميزه . . إذن هناك ثقافة عربية واحدة قد تتميز بتيار جدة الشعر فى العراق . . أو بالجانب المسرحى فى سوريا أو السينمائى بالجزائر . . أو بالمجالات الفكرية والإصلاحية فى مصر . أو بغلبة الفنون التشكيلية فى المغرب الأقصى . . إلا أن كل هذا مجرد جوانب لواقع واحد . . هو ما يسمى بالثقافة العربية .

لكن هذه الوحدة العملية تجد من يعمل بقصد أو بغير قصد على تفكيكها ومحاولة اعتراض طريقها الطبيعى بتغليب الجانب الإقليمى الضيق . . مثلاً ماذا تعرف أنت أيها الأخ عن الحركة الثقافية بالجزائر أو بتونس مثلاً . . ربما يكون لديك شخصياً ما يدحض تساؤلى . . ليكن . . فليس الأفراد هم القاعدة . . إن غالبية جماهيركم القارئة ليست لديها هذه المعرفة . . بالنسبة لنا فى المغرب يختلف الوضع تماماً . . نحن

هناك نتابع حركة الشعر في المشرق . . نتواصل مع أحداث ما ينشر في الرواية والقصة عندهم . . ويعزى بعضنا البعض في طه حسين وتيمور ونقيم حفلات التآيين لعزير أباظة . . ونتناقش حول آخر أغنيات أم كلثوم ، . . ونتتبع المعارك الصحافية حول سياستكم الداخلية والخارجية . . أما أنتم ، سامحكم الله فنشغلون بأنفسكم عنا وتتجاهلون أخوة لكم خارج الحدود الجغرافية المصطنعة . .

لقد عشنا معكم بجماع مشاعرنا خلال حرب أكتوبر . . حتى أطفالنا في المغرب وفي الجزائر كانوا يشعرون بأن المعركة مسألة تتعلق بمصيرهم وبكرامتهم . . هل أنتم على نفس الخط معنا ؟ أنتم لا تعرفون ما يدور عندنا . . من منكم يعرف شعراءنا وكتاب القصة عندنا ؟ من منكم يتابع حركة الفكر لدينا ؟ . . الجواب - مع الأسف - معروف ، ومرة أخرى ليس الأفراد هم القاعدة . . وهنا تكمن العرقلة الكبرى لمسيرة الثقافة العربية نحو النمو والاكتمال . . والذي أخافه هو أن يتدافع عن تقاطعكم نحونا رد فعل انفصامي يعترض التيار المتوثب نحو الثقافة الأفضل !

قد تبدو كلماتي جامحة المرارة . . ولكني بدافع الحب أنطلق . . وباسم الحب أيضاً أنهم . . وحتى لا يكون الاتهام مفتقد الأسانيد الشرعية دعني أسأل : لديكم قاعات للعرض المسرحي في القاهرة والإسكندرية والأقاليم . . فهل ثمة مسرحيات مغربية عرضت من خلالها ؟ .

لديكم دور للعرض السينمائي فهل شاهد جمهوركم فيلماً جزائرياً ؟ هل هناك معارض أقيمت للفن التشكيلي في تونس إن بعض دور النشر المحترمة في القاهرة وبيروت قد صدرت عنها بعض المؤلفات لكتاب من المغرب العربي . . ولكن الصحافة والاهلالت المتخصصة وبقية أنواع الإعلام لم تشر إليها ، ناهيك أن تناووها بالنقد أو التعريف . .

بعد هذا هل تجدنى متجنباً عندما أطلق الاتهام ؟ .

● سيدى من حقى تجاه ما قلته أن أبدى ملاحظة . . ليست لدى مستندات الدفاع كاملة ، لقد كتبت أنا عن كتابكم (من المغلق إلى المفتوح) الذى صدر عن مكتب الأنجلو وقام بترجمته من الفرنسية إلى العربية الأستاذ محمد برادة . . كتبت عنه منوهاً بأهميته ومحاولته الجادة للتوصل إلى حلول لأزمة عصرنا . . فى مجلة «المصور» فعلت ! -شكراً لأخوة سيادتكم ربما تكون هناك محاولات فردية من جانبك . . وجانب غيرك . . ولكنها لا تصل إلى مستوى الحركة المخططة التى تستهدف تحقيق فعالية الثقافة العربية بإدماج مسار أنهرها فى مصب واحد !

ديكتاتورية دور النشر . . على اتحاد الكتاب أن يضع حداً لها :

● ليكن . . هل لديكم ما تقترحونه لتغيير الوضع إلى ما هو المفروض أن يكون ؟ -كل الأجهزة الثقافية فى أقطارنا العربية عليها أن تجند نفسها بجدية وإحساس بالمسئولية . . لتتكامل عملية التبادل الثقافى بما يجعلها تحقق أهدافها . . وعلى عاتق اتحاد الكتاب العرب تقع المسئولية بالدرجة الأولى . . لقد عرفت أن المسئولين عن الاتحاد يخططون لسياسة جديدة مثمرة . . ونحن ننتظر . . وبالمناسبة . . أتمنى أن يقوم هذا الاتحاد بتأسيس نقابة تدافع عن حقوق المؤلفين العرب . . إذ يجب أن تنتهى عملية الاستغلال التى تقوم بها دور النشر لاستنزاف جهودهم مادياً ومعنوياً . . لقد مارست دور النشر فى عالمنا العربى ديكتاتورية . . على اتحاد الكتاب أن يضع حداً لطغيانها . . إن دور النشر مسئولة عما تعانیه الثقافة العربية من بطء فى السير وقصور فى التكامل .

● هل كان للحركة الأدبية والفكرية في المشرق العربى تأثيرها فى اتجاهات ثقافة المغرب ؟
- نعم . . بالتأكيد كان لها تأثيرها البالغ . . وفى إيجابى السابقة يمكنك أن تجد الرد مفصلاً !

**التنكر للذات تدمير للشخصية . . والإعراض عن العصر أيضاً ! !
أعطينا فى الماضى . . وعلينا أن نتجاوز طور الأخذ :**

● تراثنا العربى . . هل يتضمن ما يمكنه أن يعطى جديداً لإثراء الحضارة الإنسانية . . أم أن ما لدينا يعجز عن الإسهام فى حركة العصر الفكرية ؟ ؟
- بالتحديد . . ما الذى تعنيه هنا . . هل تقصد التراث القديم . . أو الجديد ؟
● أقصد التراث القديم بالدرجة الأولى . . وأيضاً أعنى ما لدينا من منجزات جديدة !

- تراثنا القديم أثرى الحضارة الإنسانية بلا ادعاء أو مكابرة . . هذه حقيقة . . فابن سينا وابن رشد والخوارزمى والرازى وابن النفيس وغيرهم قد قدموا للإنسانية ما يجعلها تدين لنا به . . ولا أريد أن أدخل هنا فى تفاصيل . . ولكن عندما توقفت ثقافة العرب الإسلامية عن النمو بفعل عوامل ليس هنا مجالها ، فما عادت ترضى نفسها ولا غيرها !

أما بالنسبة لما لدينا حالياً فنحن فى طور الأخذ أكثر من طور العطاء . . وهذا واقع علينا أن نعتز به فى شجاعة . . فكما أعطينا فى الماضى علينا أن نأخذ فى الحاضر على شرط ألا نكون مجرد ببغاثة نعيد صدى أصوات الآخرين . . علينا أن نهضم ما نأخذه ونتمثله . . وأن نعيد تشكيله ليتوافق مع بيئتنا وذاتيتنا . . وهذا الطور

علينا أن نعمل كل ما في وسعنا لتجاوزه إلى طور الإبداع والإضافة للتراث الإنساني . . وليس ذلك بمحال إذا خططنا كما ينبغي . . وقنا بالتضحيات الحتمية لهذا . . وعلينا أن ندرك أن طور الخلق والإضافة لا تصله صفوة القوم منعزلة عن شعوبها . . فالمنافس العام الناضج هو الذى يعطينا عباقرة الخلق وأفذاذ الابتكار . . والتزام المثقفين نحو شعوبهم هو الوسيلة الناجحة إلى تحقيق فعالية الثقافة وشموليتها . . فى الشعوب المتخلفة لا تتفجر العبقريّة . . فى خريطة العالم العربى لا تبرز أى قوة عالمية فى علوم الطبيعة أو فى علوم الإنسان . . ولكن هناك ثمة إرغاصات مبشرة . . هناك مبادرات فكرية ، هناك طاقات إبداعية . . فنحن فى فترة المخاض . . وسيأتى الوليد على مستوى إرادتنا وأعمالنا . . لا على قدر أحلامنا المحلقة . . ورغباتنا الغامضة . لسنا فى درجة الصفر ، فلدينا توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة وكامل حسين ونجيب محفوظ . وغيرهم من الذين لا تقل مستوياتهم عن مستويات من يتناولون جائزة نوبل . . ولكن أغلبية شعوبنا العربية تعيش بعقلية أقل ما يقال فيها إنها غير مزمنة للمسيرة المعاصرة ، وللتقنيات والعلوم الحالية . . وعلى كل الجهود أن تتصدى لتغيير هذه الذهنية . . لنندمج فى القرن العشرين . دون أن نتخلى عن مقوماتنا الأخلاقية والروحية . . وهذا المزج بين العصر وقيمنا يمكننا أن نقدم شيئاً هاماً ومجدداً للتراث الإنساني فالتنكر للذات مسخ للشخصية والإعراض عن أوضاع العصر تدمير للشخصية أيضاً !

الحرية بدون التزام فوضى . .

● فى كثير من كتبك مثل « من الحريات إلى التحرر » ومن « الكائن إلى الشخص » و« من المغلق إلى المفتوح » وغيرها يلمس القارئ من جانبكم محاولة

للتأسيس منهج للحرية . . بجانب محاولة أخرى لتأسيس منهج الالتزام . . قد تبدو المسألة متناقضة . . فهل يمكنك أن تحدثنا عن الصلة بين الحرية والالتزام ؟
- ما أظن أبداً أن هناك ثمة تناقضاً . . الأحق هو الذى ينكر قوانين الطبيعة وحمية الواقع . . كان « يكون » يقول : « علينا أولاً أن نستسلم للضرورة قبل أن نسيطر عليها . . من هنا نطلق . . فحينما أريد أن أنتقل من « دارالهلل » إلى الجزيرة مثلاً . . فلا بد أن أفترض أن الانتقال يتطلب وقتاً . . وهذا الوقت يخضع لأشياء خارجة عن إرادتي مثل حركة المرور وازدحام الشوارع . . وحركة سير العربى حسب حالتها . . والمسافة التى تفصلنى عن المكان الذى أقصده . . فأنا ملزم بأن أخضع لهذه الاعتبارات وأن أقبّلها . . وبعد هذا تبدأ حيرتى أنا . . إذ يمكننى أن أذهب إلى الجزيرة . . عن طريق كوبرى الجلاء أو عن طريق كوبرى الجامعة . . يمكننى أن أتجه إلى (جاردن سىتى) أو أمضى فى شارع القصر العينى . يمكننى أن أسير فى شارع النيل أو أتجنبه . فأنا فى البداية كنت ملزماً بأشياء مفروضة علىّ من الخارج كالمسافة . . وكضرورة أن يكون فى العربى نبط . . وأن تكون صالحة للاستعمال . . وأنا حر بعد ذلك فى تكيفى معها . . هذا مثل بسيط . .

ولكن إذا أردنا أن نضرب مثلاً يتعلق بالترام الكاتب وحرية يمكننا أن نقول . . أنا لم يكن لى الاختيار فى أن أكون من العالم الثالث . . ولم تكن لى حرية الاختيار فى أن أولد فى القرن العشرين . . ولست السبب فى أوضاع العالم العربى الراهنة . . ولكنى ملزم بأن أأخذ مواقف من هذه الأوضاع . . وفى نفس الوقت تتأكد حيرتى فى اختيار الوسائل فى كل موقف . وفى نوعية الموقف ذاته . . وفى اختيارى للجماعة التى أعمل معها . . وللجماعة التى أناضل ضدها . . ووسائل المناصرة أو النضال هى أيضاً تدخل فى إطار مفروض علىّ ولكنها متفتحة على أنواع

كثيرة من الاختيارات . . فالحرية المطلقة إذن شيء وهمي والالتزام دون حرية عبودية وغباء ، فالإنسان حيوان اجتماعي . . أى أنه مسئول لأنه حر . . وملتزم لأنه يتحمل مسؤولية حريته . . وبأبسط عبارة . . الالتزام حرية . . والحرية بدون التزام فوضى . .

شخصانيتي . . في الإسلام جذورها :

● «الشخصانية» التي تمثلونها أنتم . . هل ثمة جذورها في الفكر العربي . . وأين يمكننا أن نجد هذه الجذور؟

- بصفتي عربياً مسلماً . . لا بد أن يأتي إنتاجي الفكري متأثراً بأوضاعي التاريخية طبعاً ثقافتي مزدوجة . . تأثرت بالفكر العربي في أغلب أطواره . . كما تأثرت بالاتجاهات الغربية المعاصرة . . فالذي لا يأخذ لا يمكنه العطاء . . ولا يستطيع المرء أن يعلم إذا لم يتعلم . . والشخصانية الواقعية ، هذا الاتجاه الذي التزمت به . . تختلف عن الاتجاه الشخصاني في بعض المذاهب الفكرية الغربية . . لأن إضافة كلمة «واقعية» تعني الكثير . . فشخصانيتي تستمد مصادرها وتنتجها محاورها إلى «واقعي» كمنتم للعالم الثالث . . وكمغربي كانت بلاده مستعمرة سياسياً وعسكرياً . . وهي الآن تعاني من الاستعمار الاقتصادي والثقافي . . فالشخصاني المغربي العربي المسلم . . ليس هو الشخصاني البلجيكي الغربي المسيحي أو غير المتدين .

وعندما توالى كتاباتي في هذا الاتجاه . . وتمكنت من إفراز الأبعاد العميقة والامتدادية التي تقوم عليها الشخصانية الواقعية . . بدأت تظهر في الغرب بعض

دراسات تشير إلى «الحبابى الشخصياتى المسلم» وهنا انبرى لى التساؤل . . هل هناك نقط اتصال بين الشخصية والإسلام . .

وجاء الجواب فى كتابى «الشخصانية الإسلامية» الذى صدر عن دار المعارف فى القاهرة ، وأكدت من خلال هذا الكتاب أن للشخصانية جذورها فى الواقع المعاش وفى التاريخ الموروث وفى القرآن والسنة . . ولا يتسع المجال للحديث عن الشخصية ولكنها . . ومن يهيم هذا يمكنه العودة إلى كتابى من الكائن إلى الشخص «الشخصانية الإسلامية» والكتابان قد صدرا بالفرنسية أولاً قبل أن أترجمهما إلى العربية . .

سنجور . وبدوى . والحبابى وفكر العالم الثالث :

● جاء فى آخر كتاب صدر للدكتور مراد وهبه بعنوان : «محاوالت فلسفية فى موسكو» أن أحد المفكرين السوفيت زعم بأن للعالم الثالث ثلاثة مفكرين هم الرئيس السنغالى «سنجور» وعبد الرحمن بدوى «ومحمد عزيز الحبابى . . فهل هذا الزعم يطابق الحقيقة أم يجانبها ؟

- هذا مجرد رأى من الآراء . . فقد يأتى مفكر آخر ويحصر مفكرى العالم الثالث فى واحد أو يتوسع إلى مائة أو أكثر . من بينهم الثلاثة أو بدونهم . . والشئ الذى أعتقد أنه هو أنه لا صديقى سنجور ولا صديقى عبد الرحمن بدوى ولا أنا شخصياً . يمكننا الادعاء بأننا نمثل تفكير العالم الثالث . . لكن الشئ الذى لا ينكر هو أننا جميعاً من العالم الثالث . . وجميعنا ننشر ونحاضر كل فى ميدانه . . هل العالم الثالث يحد صورته ماثلة فى آثار بعضنا . . الجواب على هذا السؤال صعب . . لأن أغلبية العالم الثالث أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف عن معطياتنا شيئاً . بجانب أن

العالم الثالث يمثل أكثر من ثلث العالم ، ومن المستحيل أن لا يوجد فيه إلا مفكرون
ثلاثة منها كانت قيمة ما يكتبونه ؟

القوميات المتعصبة . . خطر على التاريخ :

● البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى . . وأن مسيرة التاريخ تتجه
الآن نحو شمولية الكيان الإنساني الموحد . . ولكن بما أن الإنسانية مهما تلاقى
خصائصها فهي في النهاية تتباين قسماتها . فهل ستلعب القوميات دوراً ما في تشكيل
مستقبل التاريخ الإنساني القادم ؟

° ° °

- التشابه إلى حد الاختلاط فقر . . والتغاير في تكامل يغذى التاريخ وينمي
العناصر المكونة له . . فالقومية بمعناها الضيق - أي الجنوح إلى الإقليمية المتعصبة -
شر على أنصارها وعلى الإنسانية كلها . . أما القومية بمعناها الرحب ، بمعنى أن تعز
كل أمة بتراثها وخصيبتها ومكوناتها التاريخية والحضارية . ومدى عطاياها للإنسانية
كلها . . ونزوعها إلى التمايز من خلال التوافق . . فتلك هي القومية التي تسهم في
صنع التاريخ الإنساني ولا تشكل خطورة لا على نفسها ولا عليه . . فالقرآن يدعو
ويؤكد بأن « الأقربون » أولى بالمعروف « فالقوميات في المفهوم الثاني هي وحدها التي
تستطيع أن تلعب دوراً تاريخياً في تقدم الإنسان . . أما في معناها الضيق فإنها
خطر . . لأنها مدعاة إلى الانقسام والتنافر . إن العصر القادم هو عصر التكامل
الإنساني من خلال القوميات المفتوحة .

° ° °

عصر التحليق بجناح واحد :

● في كتابك من الحريات إلى التحرر قلت : « إن العلوم الإنسانية ما زالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات . . وفي هذا الطلاق البائن المريع تكمن مأساة الإنسان المعاصر ، يوافقك على هذا كل الذين تؤرقهم أزمة عصرنا . . ما الذى علينا أن نفعله لتضييق المسافة بين التقدم التقنى والتخلف فى علوم الإنسان ؟

- إن الحضارة الحديثة تنزع إلى تغليب التقنيات على المظاهر الإنسانية لحياتنا . وهى بذلك تعتمد إلى إخضاع الإنسان الذى هو غاية أى تقدم وأى حضارة إلى ما هو مفروض أن يكون مجرد وسائل تخدم سعادته وتعطيه حياة أكثر بهجة وأعمق معنى . . وعلى هذا فلا بد من إعادة التوازن لهذه الحضارة . حتى لا يحلق الإنسان بجناح واحد . . وهنا لابد منها ارتفع وحلق من أن يهوى فى النهاية ليرتطم بصخرة الإخفاق المنتظر . . إن السبب فى هذا الاضطراب وهذا القلق الذى يسود عصرنا يرجع فى جزء كبير منه إلى الفوضى الأخلاقية والاقتصادية التى تسيطر على عصرنا ، إن نظم الحياة السياسية والاقتصادية لم تحدد بعد أهدافاً لخدمة الإنسانية تحديداً صادقاً واضحاً . . فلكى نصل إلى حضارة حقيقية ذات طابع إنسانى يتحتم علينا أن نعيد النظر بصفة عامة فى الوسائل الفكرية والاجتماعية المطبقة داخل بيئاتنا .

المفكر . والقصاص . والشاعر . أنا :

● أنت تكتب مفكراً . . وروائياً . . وقصاصاً . . وشاعراً . . فى أى جانب من هذه الجوانب يرى الدكتور الحبابى أنه قد حقق ذاته . . أو بمعنى آخر . . أى هذه الجوانب من العطاء أقرب إلى وجدانك . . ؟

- أحياناً ألبس الجلباب المغربي والبرونوس . . وأحياناً أردتدى الصدرية والبنطلون المغربي . . تارة ألبس شورتاً وقيصاً خفيفاً بنصف كم اتقاء لحرارة الجو . . وعندما يكون الطقس قارساً أئدثر بالأصواف الثقيلة . . كل وقت يكون له ما يلائمه ويلائمى . . ولكن . . أنا هو أنا فى كل الأحوال . . حينما أريد بلورة مفاهيم فكرية تقتضى منى تحليلات واستنتاجات وديالتيك . . فالدراسة الفلسفية ترشح نفسها بالدرجة الأولى . . ولكن عندما أريد أن أتواصل مع جمهور أوسع من القراء . . وأن أتوجه إلى وجداناتهم ومشاعرهم أطلق العنان لقدراىى الفنية . . فهنا أجد أن الرواية أو القصة هى النوع الأكثر استجابة لى . . لأن ما لدى لأقوله يتجسد فى أشخاص وأحداث وأحاسيس ومواقف . . وحينما أمر بمكان وتخطيبنى ذكريات . . وتومر مشاعر . . وتتدفق خواطر يطفو الشاعر من داخلى ليعبر عن هذا بإمكاناته . على أنى أعتقد أنه ليس هناك بين مختلف وسائل التعبير أى تناقض أو حواجز لا تخترق ، فالرسالة الفكرية تنتخب كل الوسائل لتنتقل من متكلم إلى مخاطب . . فالحبابى إذن يجد نفسه فى كل ما يكتب .

أدب الغموض عجز . . لا أحترمه :

● حركة الشعر فى المغرب العربى . . ما هو موقفها الراهن . . هل هى تلتزم بعمود الشعر التقليدى . . أم هناك من يحاول التجديد . . وهل كان لحركة الشعر الحديث فى المشرق صداها عند شعراء المغرب ؟

- عندنا من يلتزم بالشكل العمود . . وعندنا من يجدد أيضاً . . وقد كان لحركة الشعر الجديد فى المشرق تأثيرها عند شعراء الشباب فى المغرب العربى . . وحركة الشعر عند هؤلاء الشباب تمتاز بتعبيرها عن إيقاعات العصر . . وأنا معجب

بكثير من هؤلاء . . ولكنى فى نفس الوقت لا أوافق على إغراق بعضهم فى الغموض والتغريب . . أنا ضد أدب الغموض . . ولا أحترمه . . إن الفكر الناضج والعاطفة الصادقة المتبلورة هى التى تبرز على مستوى التعبير واضحة . . قادرة على التوصيل . قابلة للمشاركة والتفاهم . . وأنها لا كذوبة ومغالطة الادعاء بأن الغموض يفرضه عمق الفكر . . الغموض عجز عن التوصيل لا أكثر . . وكل ادعاء بعد ذلك لا يعنى إلا محاولة فاشلة للتغطية . . تغطية العجز كما قلت . .

عالم الغد . . الاتزان والتوازن :

● عن « دار الهلال » سيصدر قريباً روايتكم « الأكسير والحياة » هل هناك ثمة أعمال أخرى لكم فى الطريق إلى القارئ ؟

- لدى كتاب سيصدر بالفرنسية قريباً بعنوان « آلام موقعة » فى جزءين وهو ترجمة للماذج من الشعر العربى فى مختلف البلدان والعصور . وإن كان الجزء الأول منه يختص بترجمة بعض الشعر الفلسطينى . . وشعر جزائر ما قبل الثورة . . ولدى كتاب آخر سيصدر بالفرنسية أيضاً بعنوان « عالم الغد » أو « العالم الثالث يتحدى » وهو عبارة عن دراسة تحليلية للأوضاع العالمية الحالية فى جوانبها المختلفة . . وقد استخلصت من تحليل هذه الأوضاع نتائج تؤكد ضرورة قيام عالم جديد يعطى للإنسان واقعاً أفضل . أكثر توازناً واتزاناً . .

● أريد أن أعرف هل كتابكم « آلام موقعة » عبارة عن تاريخ للشعر العربى . . أم دراسات نقدية له ؟

- لا هذا ولا ذاك . . لست مؤرخاً للأدب . . ولست بناقذ أيضاً . . أنا أتذوق الشعر . . وقد دفعنى تذوق هذا إلى اختيار مجموعة من القصائد رأيت أنها

تعبّر عن جانب من آثارنا الفنية يجسد الروح العربية في آلامها وآمالها . . وقت
بترجمتها إلى الفرنسية عسى أن أسهم في التعريف بقضيتنا لدى من يقرأون
بالفرنسية . . وهذا من جانبي أضعف الإيمان . . إن قضيتنا في ميسس الحاجة إلى
التعبير عنها فنياً . . ولا شيء أقدر من الفن الجيد على اكتساب مشاعر التأييد
والتعاطف مع القضايا العادلة .

« أبريل » ١٩٧٤

دكتور شوق ضيف

أحمد شوق : أمير شعراء كل العصور !

احتفلت مصر بإحياء ذكرى شاعرها وشاعر العروبة الأعظم « أحمد شوق » ونحول بيت شوق « كرمه ابن هاني » المطل على النيل في الجزيرة إلى متحف قومي يضم تراثه الشعري والمسرحي وآثاره وكل ما يخصه . . تقديراً من الدولة لشاعر قد استخرج من لغة العروبة أجمل ما فيها ليشكله قريضاً يتدفق باقتدار الشاعرية وجمال الفن . . متغنياً بأبجد مصر والعروبة والإسلام !

وشوق لا ينحصر مصر وحدها . . فهو شاعر العربية في كل ديارها . . لهذا جاءت وفودها تشارك في الاحتفال وتجدد له البيعة أميراً للشعراء . . كما جاءت وفودها من قبل تخلع عليه الإمارة وتسلمه مقود الزعامة . . وليس هناك من شاعر عربى التقت حوله قلوب العرب وبلغ من الشهرة وحقق من المجد . . ما أتيح لهذا الشاعر المنفرد . .

فقد كان الشرق بأسره وما زال يتغنى بشعره . . . ويوم كان يرسل قصيدة جديدة كان العالم العربى يعتبر ذلك حدثاً يشغل الناس . . . فتتداولها المحافل . . . وتشدو بها الألسنة . . . وبجانب إنجازاته الشعرية كان هو الرائد الأول لفن الشعر المسرحى فى أدبنا العربى . وأنه عبّد أرضاً لم يطرّفها أحد من قبله . . . وإذا كانت الأمة العربية قد أفاضت عليه من حبها وتقديرها كجواهر قارئة ومستمعة . . . فإن الأدباء والنقاد قد انقسموا حوله ما بين أنصار يفرطون فى الحب إلى حد اعتبار شعره معجزة تسمو على النقائص أو الهنات . . . وخصوم يكادون يجرّدونه من كل حسنة ويعتبرونه شاعراً مصنوعاً يفتقد الأصالة والشاعرية . . . ولم يكن كل ما كتب عنه يجرى على هذه الوتيرة . . . فهناك كتابات اتسمت بالإنصاف والموضوعية .

ومن هذه الكتابات دراسة قدمها الدكتور شوق ضيف منذ ربع قرن فى كتاب بعنوان «شوقى» = شاعر العصر الحديث . . . والآن تسوقنا المناسبة للتساؤل : هل تغيرت نظرة المؤلف إلى شوقى بعد هذه الفترة . . . هل هناك = فى الكتاب = ما يمكن أن يتراجع عنه أو ما يمكن أن يضيفه جديداً لرؤيته عنه . . . بجانب أسئلة أخرى عنت لى . . . توجهت بها إلى الدكتور شوق ضيف . . . وأعطانى الرجل هنا إجابته . . .

شوقى هو شوقى على الدوام :

● قلت للدكتور شوق ضيف :

يعتبر كتابك «شوقى شاعر العصر الحديث» من أهم الدراسات التى مسحت عالم شوقى بكل جوانبه الآن وبعد ربع قرن على وضع هذا الكتاب . . . هل تختلف رؤيتك لشوقى . . . عن الرؤية التى تضمنها الكتاب السالف ذكره ؟

- لا تختلف رؤيتي الآن لشعر شوقي عن رؤيتي له منذ نحو ربع قرن ، حين ألفت كتابي عنه . ذلك أن شوقي يحتل في شعرنا الحديث مكانة رفيعة . لا في مصر وحدها بل في العالم العربي . جميعاً . . وهي مكانة يشترك معه فيها البارودي وحافظ إبراهيم ، فهم الذين استطاعوا أن يكسبوا لمصر زعامة الشعر العربي في العصر الحديث ، ويعد شوقي أكثر من صاحبيه عدوبة في الألفاظ وتحليلاً في آفاق كثيرة . وبذلك يعد السابق المجلي في التمكن لمصر من هذه الزعامة التي سبقت زعامتها للعالم العربي في النثر بعشرات السنين !

وهذه الرؤية لمكانته هي التي دفعني إلى دراسته بموازين عادلة . . إذا انقسم النقاد في زمنه بين متحيزين له ومتعصين عليه . فأردت أن أتبين حقائقه الأدبية في وضوح . . بكل ما في شعره من تيارات . . وما ساد فيه من مؤثرات . . وما ابتكره من مسرحيات ، ولا تزال نفس الرؤية ثابتة في نفسي لا تختلف عن رؤيتي القديمة لا في قليل ولا في كثير !

* * *

● من أهم إنجازات شوقي مسرحه . . كان قيمة كبرى في عصره . . بجانب فضل الريادة . . هذا المسرح هل ننظر إليه الآن كثراث . . أو في اعتقادك أنه ما زال يصلح للعرض والذوق المعاصر . ويمكنه أن يجد جمهوراً يتقبله ؟

- لا شك أن شوقي يعد أول من أوجد للعرب في العصر الحديث مسرحاً شعرياً . . فقبل مسرحه لم تكن هناك إلا بعض مسارح هزلية أو مسارح للغناء والطرب . . وبذلك يكون بحق هو الرائد الأول للمسرح العربي الحديث . وهي ريادة تعددت فيها المسرحيات . فهناك خمس مآسٍ شعرية ومسرحية نثرية غير مهزلته المعروفة « الست هدى » . . ولشوقي دائماً نظرات نافذة ، فكما أنه بث في

شعره الغنائى الروح الوطنية والعربية وجسدها فى أروع القصائد ، كذلك صنع فى مآسيه . إذ أودع فى ثلاث منها العواطف الوطنية المصرية « مصرع كيلوباترا - قبيز - على بك الكبير ، وفى القومية العربية « مجنون ليلى - عنترة - أميرة الأندلس » والأخيرة كتبها نثراً لا شعراً .

ولعل فى ذلك ما يدل على أن هذه المسرحيات تحمل ما يؤكد لها البقاء ، إذ منها ما يخاطب الجمهور فى كل زمان . . ومنها ما يخاطب الجمهور العربى فى كل عصر . وليس هذا وحده ما يتيح لها البقاء . فشوقى فى رأى كان من الكادحين فى هذا العمل ، فهو حين أقبل على صنع مسرحيات لم يقبل عليها بدون دراسة . . بل حاول أن يدرس وأن يتعرف على المدارس المسرحية . . وعى بقوة المدرسة الكلاسيكية الفرنسية فى القرن السابع عشر . وعرف أنها تستمد مسرحياتها من التاريخ كما فعل كورنى وراسين فحاكماهما فى هذا الاتجاه . . وأيضاً فى كونها تغلب الواجب على العاطفة فكيلوباترا ضحت بحبها لأنطونيو من أجل مصر :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبدل دونه عرش الجمال
وتيتاس ضحت أيضاً بحبها لتاسو وقبلت الزواج من قبيز حتى تفدى شعبها من شروره قائلة :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى ، حيانى للبلاد ومالى
وبالمثل ضحت ليل بحبها لقيس حفاظاً على التقاليد القبلية والعرف العشائرى .
وبالمثل وعى كذلك المدرسة الرومانسية إذ نراه يتأثر بها فى مسرحه ، ويتضح هذا التأثير فى انفصاله معها عن المدرسة الكلاسيكية وما تقيدت به من نظرية الوحدات الثلاث « وحدة الزمان والمكان والموضوع » فهو مثلاً لا يتقيد بوحدة الموضوع فيجربى فى مآسيه بعض القصص الجانبية بجانب القصة الأساسية فقد

أجريت في « مصرع كيلوباترة » بجانب قصتها مع أنطونيوس قصة جاني وهيلانة . وذلك عنده لا يفسد التحام الحوادث في المسرحية . وتأثر أيضاً بالمدرسة الرومانسية في إدخاله العناصر الفكاهية في المسرحية مخالفاً بذلك المدرسة الكلاسيكية التي كانت ترى الفصل بين الأنواع .

وفي هذا ما يؤكد بقوة على أن شوقي لم يهجم على التأليف المسرحي دون دراسة وثقافة ، وقد انتخب لنفسه ما يراه ملائماً لشعبه من المسرحين الكلاسيكي والرومانسي ، ولم يقف عند ذلك فقد تمثل الأحوال السياسية لشعبه والشعوب العربية فأدخل العواطف الوطنية والقومية . كما أدخل تياراً أخلاقياً . وبالمثل أدخل تياراً غنائياً . إذ تراه يتوقف في مسرحياته ليعطى الفرصة لمواقف غناء وتلحين من حين لآخر حتى يشبع رغبات جمهوره الذي حاول أن ينتزعه من مسرح الغناء والطرب السابق له . . وهذا معناه أن شوقي حاول أن ينقل إلى مسرح عربي جديد يلائم المصريين والعرب جميعاً . ولعل في هذا ما يدل على أن مسرح شوقي لا يزال صالحاً للعرض . ولا يزال من الممكن أن يجد جمهوراً يقبل عليه . لأنه مسرح متكامل من الوجهة الفنية الخالصة . . ويرضى المشاعر الوطنية والقومية . وحقاً هناك نقد وجهه إلى مسرح شوقي ولكنه لا يهدم مسرح شوقي . إنما هي آراء نقدية من شأنها أن تنير السبيل أمام المحاولات الجديدة !

عاد من المنفى فتدفق شعره بالوطنية :

● « يلاحظ أنه بعد عودة شوقي من منفاه بعد ثورة ١٩١٩ تدفقت أشعاره بالوطنية والتغنى بالقضايا العربية . . ولم تكن بهذا التدفق قبل هذا التاريخ . . ما سر هذا في اعتقادك ؟

- معروف أن شوقى ظل حتى منفاه بعد خلع الخديو عباس يعيش حبيس
وظيفته فى القصر نحوربع قرن لا هم له إلا تدييع المدائح فى عباس . . فإن تركه
فإلى الوجهة التى يريد لها من مدحه للخليفة التركى . وبذلك ظل يعيش فى درب
محضوف بالأشواك مقيداً بأقفال تحول بينه وبين الحرية فى أن يكون خالصاً لوطنه .
ولكن ينبغى أن نلاحظ أن شوقى رغم هذه القيود التى كانت تبهظه حاول أن
يتخلص من ذلك حيناً بعد حين . وكان أول ما صنعه نظمه لقصيدة كبار الحوادث
فى وادى النيل « وفيها نستشعر حبه لمصر وإحساسه القوى بأمجادها الغابرة فى مثل
قوله :

« وبنينا فلم نخل لبان وعلونا فلم يحزنا علاء »
وعلينا أن نتذكر قصيدته عن « أنس الوجود » وكذلك قصيدته عن « النيل »
وهما رائعتان يتجلى فيهما حبه لمصر وإحساسه المتدفق بها .

ثم يننى إلى أسبانيا بعد خلع عباس ويحس فى أعماقه بظلم المستعمر الذى حرمه
من وطنه ويظل يتغنى بوطنه وأمجاده . . وبالعودة . . ويعود من المنفى ليجد أبواب
القصر مغلقة دونه . ويجد دماء الشباب الزكية مراقبة على ثرى وطنه فيستشعر
العواطف الوطنية بقوة . ويصبح منذ هذا التاريخ شاعر الشعب المعبر عن الأمة
وأحلامها . . ويرتجف لكل ما يرتجف له الشعب . ويسعد بكل ما يسعده . .
وينطلق ليستحث الشباب على الجهاد والفداء . . ودحر المستعمر والقضاء على
وجوده . . ويجعل من التغنى بأمجاد الوطن الغابرة دافعاً للشباب كي يستعيدوا لهذا
الوطن أمجاده . . والكفاح من أجل أن يكون مستقبله كما كان ماضيه . .
ونخلص من هذا أن الوطن لم يكن غائباً عن شوقى فى شعره منذ بواكير
حياته . . وقد استحال فى شعره معبداً كبيراً يرتل له أشعاره . . حتى إذا نقي وعاد

من منفاه مضى يحاول أن يحيله بركاناً ثائراً يأتي على المستعمر وأعدائه ولم يكتف
بوطنه يحفزه على النضال فقد وقف بجانب كل بلد عربى ينازل الاستعمار داعياً شبابه
إلى الثورة وأهله إلى الكفاح وبقيّة أقطار الوطن العربى إلى مساندته . . لقد كان
شاعر العروبة المعبر عن أحاسيسها ومشاعرها فى كل مكان وقد امتلأ غضباً وحنقاً
حين علم بما فعله الاحتلال الفرنسى بدمشق من دمار ورعب فوقف يصرخ فى أبناء
سوريا يطالبهم ببدل الدماء قائلاً :

ولأوطان فى دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدي
وكان لا ينسى ما يربط البلدان العربية من أواصر الرحم والقرى الوثيقة وما
أروع تصويره لهذه القرى عندما يقول :

«كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمان»
وظل على الدوام يتغنى بالصلوات التى تربط البلدين الشقيقين مصر والسودان :
«وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها
تتم مصر ينسابه كما تم العين إنسانها
وعلى هذا النحو كان شوق هو صوت مصر والعالم العربى . . والمعبر عن وجدانها
نحوه .

موقع شوق من خريطة الشعر العربى أين يكون ؟

● سؤال أعترض عن تقليديته . ولكنه قد يكون مهماً بالنسبة لجيل جديد يريد أن
يتذوق شوق . . أى مسرحيات شوق بلغ القمة فى نظرك . . وما هى القصيدة التى
تعتبرها أروع قصائده ؟

١- هناك مسرحيتان تعدان في الذروة بالقياس إلى مسرحياته «مصرع كيلوباترا» ومن الغريب أن شوقي كتبها ليعارض مسرحية شكسبير «أنطوني و كيلوباترا» وكأنما كتب لشوقي دائماً أن يتفوق حينما يعارض غيره من كبار الشعراء . فإن من يقرنها إلى مسرحية شكسبير يعرف مدى قدرة شوقي الفنية . . والمسرحية الثانية هي «مجنون ليل» فالبناء المسرحي فيها بالغ الإحكام . والشخصيات مصورة تصويراً دقيقاً والصراع يمتد في خيط متصل . وتقل إلى حد ما نزعة الإطالة في جزئيات الحوار . . وهذه المسرحية جديرة بأن تستغل في «أوبرا» غنائية طويلة .

أما القصائد فمن الصعب أن تختار لشوقي قصيدة واحدة . . طبعاً هناك قصيدة «كبار الحوادث في وادي النيل» وهي أشبه بشرائط من أشرطة دور الخيالة يعرض فيه تاريخ مصر منذ أبعد الأزمنة . . ولا تقل عنها روعة قصيدته في النيل . . التي جسدت شخصية النيل المعنوية بجانب شخصيته الحسية . . وبجانها تلقانا فرالده في المديح النبوى . . ودالته التي يخاطب فيها شباب مصر بقوله :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أن تجعلوه كوجه معبودا
إن الذي قسم البلاد حباكمو بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان والدنيا لحد كلها للعبرية والفنون مهودا

● موقع شوقي من خريطة الشعر العربي في مختلف عصوره أين يكون ؟

- في رأي أن شوقي يعد أكبر شاعر في العصر الحديث لروعة موسيقاه وشاعريته وإذا أردنا أن نقرنه بأعلام الشعر العربي في عصوره على مر التاريخ نجد أنه يأخذ مكانة سامقة بين أفذاذهم ومن الصعب المقارنة بينه وبين أحدهم لاختلاف العصور والظروف والثقافات . ومع ذلك فهو يعد في الذروة . ذروة يندر أن يبلغها أحد منهم !

يونيو سنة ١٩٧٧

دكتور/رشاد رشدى

الناقد كالعالم . . ليس له أن يفرض على الظاهرة مشاعره الخاصة !

دكتور رشاد رشدى عميد أكاديمية الفنون . . واحد من أعمدة حركتنا الأدبية والفنية . . فهو أحد عناصر التأثير البالغة الفعالية فى حركتنا النقدية منذ الخمسينات . . وقد يختلف بعضنا مع وجهات نظره . . ولكن لا يستطيع أن ينكر أنها أشاعت مناخاً نقدياً فجر الحوار والنقاش واستفادت بها الحركة الإبداعية . وأثرت اتجاهاتها . . وكما أثار العواصف والمعارك والحوار من خلال دوره النقدى . . فقد فعل نفس الشئ بعطاءه قاصاً وروائياً وكاتب مسرح أسهمت مسرحياته فى تشكيل معالم حركتنا المسرحية العربية . . بجانب هذا كان له دوره الهام والأساسى فى رحاب الجامعة . .

● قلت للدكتور رشاد رشدى :

أكاديمية الفنون التى أنت عميدها - ما هى أنشطتها . والرسالة المستهدفة من

إنشائها ؟

- تضم الأكاديمية كثيراً من المعاهد الفنية . . الكونسرفتوار . . معهد الموسيقى العربية . . معهد النقد الفني . . معهد السينما . . معهد الفنون المسرحية معهد الباليه . . معهد دراسات الفنون الشعبية ، وكل هذه الأنشطة تستهدف إيجاد عناصر فنية متخصصة كل في مجاله . . عناصر تعتمد في مكوناتها على الثقافة ، فما عاد الفن مجرد موهبة تلقائية عفوية . . بجانب إيجاد أجيال تتذوق الفن وفقاً لأصول نوعيته . . فتلقى الفن يجب أن تساند الثقافة أيضاً ذوقه الخاص . . وبهذا تكون رسالة الأكاديمية هي تغذية الحقل الفني في مجالاته المتباينة بكفايات فنية مثقفة . . إثراء للفن ذاته وتغذية للمناخ الفني . بجانب ترشيد الذوق الفني عند الجماهير .

● قد يتفرد الفنان في مجال نوعيته الخاصة . . ولكن بشرط ألا يكون مقطوع الصلة ببقية الفنون الأخرى . هل هناك تفكير في الربط بين مناهج معاهد الأكاديمية لتحقيق التخصص من خلال النوع ؟

- بالتأكيد لم يغيب هذا عن خطط مشروعاتي . . فهناك محاولة لتدريس مواد مشتركة بين الجميع في كل المعاهد . . على سبيل المثال . ماهية الفن . . تاريخ الفن . . الحضارة الإسلامية . . تراث الثقافة العربية . . التذوق الموسيقي . . معالم الأدب العالمي . . هذا كله مادة مشتركة بين الجميع .

● أعتقد أن طبيعة معاهد الأكاديمية تختلف عن أى كلية أو معهد جامعي . . يمكن بالدراسة أن أنتخرج دكتوراً أو مهندساً أو محاسباً أو محامياً . . ولكن بالنسبة للنشاط الفني والإبداع الفني هناك اعتبارات أخرى ، فالفنان مسألة لها خصوصيتها المغايرة . . هل ستعتمد الأكاديمية في قبول طلبتها على الشهادات والجامع . . أو هناك مقاييس أخرى ؟

- ليست المقاييس التي تتحكم في الالتحاق هي مجرد الشهادات وحدها . .

مناك الاستعداد الخاص للفرع الذى يريد الطالب أن يدرسه . . من أجل هذا يتم امتحان قبول على ضوءه يمكن معرفة الإمكانيات المتاحة لدى الطالب أساساً والتي تؤهله لدراسة ما يبغي دراسته . . وبدون هذا الاستعداد الخاص لن تفتح له الأكاديمية أبوابها .

● التقليد الذى استنته الأكاديمية مؤخراً بمنح الدكتوراه الفخرية لتوفيق الحكيم ومحمد عبد الوهاب . مبادرة مشكورة لتكريم عمالقة الفن عندنا . . مع هذا يتبادر سؤال . . تعودنا فى مثل هذه المسألة أن تمنح الدكتوراه جهات تملك أساساً منح الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه ؟

- ومن قال لك إن الأكاديمية لا تملك هذا الحق . . إنها جامعة فنون من مهامها أن تعطى شهادات الماجستير والدكتوراه كالجامعات الأخرى وفقاً لأصول التقاليد الجامعية !

● طيب . . عبد الوهاب . . تصرف معقول أن تبادر الأكاديمية بحكم طبيعتها لتكريمه ، توفيق الحكيم أما كان الأفضل أن تأتى المبادرة من الجامعة ؟

- بالنسبة للأكاديمية كان تصرفها طبيعياً . . فالحكيم رائد فى المسرح المصرى وليس ذنبنا أن تكون الجامعة قد فاتها هذا ، والحق أن الجامعة قصرت فى حق الكثيرين من عمالقة أدبنا وفنوننا . . وسوف تمتد مبادرة الأكاديمية إلى الكيان العربى بأسره تقديراً لأفذاذ رجاله فى مجالات الفنون .

● أطلقت أنت تسمية « اللارواية » على عملك الأدبى « رحلة فى القطار » وعملك الآخر « الرجل والجليل » إذن تحت أى جنس أدبى يمكننا أن نضع هذه الأعمال وما يماثلها . . وهل صفة اللارواية يمكن أن تكون لها مواصفات تميزها عن بقية الأنواع الأدبية الأخرى . . خاصة الرواية ؟

١- اللارواية لون أدبي جديد في الأدب . . مثل مسرح العبث . وهى ضد التقاليد الموروثة للرواية . . إنها محاولة لكسر الشكل الروائى والخروج من إطار سياجه ، فلا حوادث تتسلسل ولا رسم واقعى للشخصيات . . ولا وجود للزمن التقليدى إنها تدخل المشاعر والأحداث والمشاهد فى إطار وحدة الإحساس بدون تحديد النسب والمسافات كما يحدث فى الرواية بمفهومها التقليدى .

● المفاهيم التى حددتها للقصة القصيرة فى كتابك « فن القصة القصيرة » حيث استخرجت من أحشاء الأعمال القصصية العالمية المتميزة قواعد لتقنين القصة . . الآن وبعد تطور حدث للقصة فى أدبنا وفى آداب غيرنا . . هل مازلت مصرراً على قوانين البداية والوسط والذروة ولحظة التنوير وغير ذلك ؟

- مازلت عند موافق . . معتقداً بصحة هذه القوانين . . برغم أن القصة القصيرة اتخذت أشكالاً أكثر تعقيداً . . وحتى الأشكال التجريبية لو نظرنا لها نظرة نافذة سنجد أن هذه القوانين كامنة فى طواياها ! !

● هل تعتقد أن المنهج النقدى ضرورى لمصاحبة الناقد فى مسيرته مع العمل الذى ينقده . . أو الأفضل أن يطرح الناقد منهجه جانباً ليكتشف من داخل كل عمل على حدة مقاييسه الخاصة ؟

- حتى لا يضل الناقد طريقه . . لابد من منهج نقدى أساساً يعصم خطواته ، والمنهج السليم هو أن أكتشف قوانين العمل من داخله وإلا أفرض عليه نظريتى . . وأن أكون موضوعياً تماماً فى التعامل معه . . كالعالم أمام الظاهرة التى يريد اكتشاف قوانينها ليس له أن يفرض عليها مشاعره الخاصة . . ولا يمكن أن يكون هناك نقد إلا بوجود هذا المنهج الموضوعى الذى يقترب من العلم كثيراً . . لأن وظيفة النقد أن يرى العمل الفنى . كما هو فى حقيقته . . وهذه مسألة تتطلب ثقافة واسعة . واقتداراً على التدقيق

والتحليل والاكتشاف والمقارنة بالتقاليد الفنية التى يتبنى إليها العمل .

● رشاد رشدى الناقد . . فى تقديرى ما الذى أضافه إلى مناخنا النقدى وهل شكلت وجهات نظره اتجاهاً له معامله فى نقدنا الحديث وفى إنتاجنا الأدبى أيضاً ؟ - لا أدعى غير الحقيقة عندما أقول بأن وجهات نظرى - عندما كنت أمارس النقد بطريقة مكثفة - خلقت مناخاً نقدياً من خلال التصارع بين مدرستين . . المدرسة الرومانسية بزعماءه المرحوم محمد مندور . والمدرسة الكلاسيكية التى كنت داعيتها . وأعتقد أن كتاباتى النقدية ومعاركى بشأنها قد أشاعت باعتراف كثير من الشبان لوناً من التفهم لعملية النقد وألقت الكثير من الأضواء على عملية الإبداع . . وساعدت على تصحيح مفاهيم خاطئة . . ومازلنا بحاجة إلى هذا فحتى الآن أغلب نقادنا ممن يعملون بالنقد - فى الصحف على الأقل - تفصلهم فجوات كبيرة عن ماهية النقد وماهية الفن . . ويحكمون على الأعمال الفنية بواسطة الانطباعات . . وإضافة إلى ما ذكرت فلقد استطعت فى الجامعة أن أخرج عناصر متذوقة إلى جانب عدد لا بأس به من المتخصصين الذين يمارسون النقد داخل وخارج الجامعة . . هذا دورى مادمت قد سألتنى ؟

● الذى لا شك فيه - ومهما تباينت مدارس النقد - أن النقد الأدبى قد أحدث تأثيراً كبيراً فى أدبنا الحديث . . فى مجال الفنون الأخرى كالسينما والمسرح والموسيقى والفنون التشكيلية هل هناك نقد يشكل تأثيراً فى اتجاهاتها ؟

- هناك محاولات . . مجرد محاولات بدائية لم تزل . . لا يوجد عندنا النقد الحقيقى فى هذه الفنون . . والأمل معقود على خريجى معهد النقد الفنى . . لأنهم يدرسون هذه الفنون بجمعية . . ولو أتيح هؤلاء المجال - وقطعاً سوف يتاح لهم - فسوف يسهمون فى إشاعة وتفجير مناخ من النقد الفنى فى الفنون التى ذكرت .

● لماذا اخترت عم أحمد الفلاح بالذات لتحاكمه ؟

- لأن عم أحمد الفلاح يمثل الشعب المصرى الذى ظلم طويلاً وأهين طويلاً من حكامه وغير حكامه . . والمحكمة تكشف عن جوهره وأنه لم يكن يستحق أبداً مالحق به . . فالمحاكمة تنتهى بأن يحاكم هو حكامه . . فالذى يستحق المحاكمة والإدانة ليس هو . . فأنا حاكمته أساساً لأنصفه وليشهد الجميع ببراءته ، لقد كانت المسرحية من وحى حرب أكتوبر . . التى كسبناها بقوة روح الإنسان المصرى أولاً . وعم أحمد الفلاح هو رمز هذا الإنسان المصرى والتعبير عنه .

● ما هى المسرحية التى تعتبرها أفضل أعمالك من حيث النص . . والمسرحية التى كان المسرح أكثر توفيقاً فى توصيل وجهة نظرك من خلالها ؟

- وددت لو كان السؤال قد جاء معكوساً . . « رحلة خارج السور » هى أفضل أعمالى ولكن الإخراج لم يتمكن من توصيلها إلى الناس . . المسرحية التى برزت إلى الناس كانت « بلدى يا بلدى » فالإخراج « ربحتها » تماماً . . وعلى كل ليس من الميسور أن يرضى المؤلف عن عمله مائة فى المائة . . فله تصوره وللمخرج أيضاً تصوره ! ● هنا يتبادر سؤال . . هل من حق المخرج أن يخرج النص من الزاوية التى يراها أكثر توفيقاً من وجهة نظره . . أو عليه أن يلتزم أساساً بحرفية النص الدرامى وتعليمات الكاتب بشأنه ؟

- من حقه أن يخرج النص برؤيته . . ولكن ليس من حقه أن يجور على رواية الكاتب وأن يتعد عن إخراج به بأسلوبه الذى كتب به . . فالنص الواقعى لا يمكن إخراج به رمزياً . . أو بالأسلوب البريخفى كما حدث لمسرحية « رحلة خارج السور » ! ● من هو المخرج الذى شعرت بأنه يفهمك . . والممثل أو الممثلة الذى عبر أرواحك عن إحدى شخصياتك كما تمنيت أن تراها مجسدة فوق المسرح ؟

- بالنسبة للإخراج كمال ياسين الذى أخرج أغلب أعمالى . . والمخرج الآخر هو جلال الشرفاوى . . بالنسبة للتمثيل سميحة أيوب . . وحمدي غيث وعبد الله غيث .

● مسرحك . . ما هى الرؤية الاجتماعية التى تقف خلفه ؟

- الخلفية الاجتماعية لأعمالى تتمثل فى اعتبار أن الإنسان كمجتمع أو كفرد لا يمكن أن يقهر إلا إذا أراد هو ذلك . . ولا يمكن لإنسان أن يباع إلا إذا أراد هو أن يبيع نفسه . . هذه هى المسألة . . والذى يكمل هذا اعتبارى أن الإنسان إذا باع نفسه مرة واحدة فسوف يبيعها على الدوام . . مع اعتقادي بأن الخلاص للفرد أو المجتمع هو الحب . . الحب بمعناه الواسع الشامل . . وليست هناك وسيلة أخرى لهذا الخلاص غير الحب . فلو كنا نحب مصر كما ينبغى أن يكون الحب لما تركناها تتعذب ولعملنا على خلاصها منذ أمد طويل ! !

● دكتور . . هل تهمنا بأننا لا نحب مصر ؟ ! قلتها وأنا أشير لنفسي وللآخرين ، فقد وفد علينا وقتها مجموعة من تلاميذه وطلبة الأكاديمية فى شقته الأنيقة المطللة على النيل .

- نحن لا نحب مصر الحب الكافى . . حب مصر يعنى أن نضحى بذواتنا إلى حد الفناء من أجل ذاتها . . ولكن ذواتنا لم تزل تحجب ذاتها !

● بعد الشوط الذى قطعه المسرح المصرى . هل التخصير ضرورة لهذا المسرح ؟

- ليس التخصير ضرورة . . قل على لسانى إنه نكسة !

● هل هناك مسرحية من أعمالك . . ترى صلاحيتها لأن تقدمها السينما فيلمًا ؟

- حاولوا معى بالنسبة «للفراشة» و «لعبة الحب» ثم انسجبت بعد العقد . .

السينما «تسيح» الرواية ، مؤخرًا تعاقدت معى شركة أجنبية لتقديم مسرحيتى «شهرزاد» التى فرغت من كتابتها .

● المسرح السياسى فى مصر. هل استطاع أن يوصل رؤيته السياسية بلغة الفن أولاً؟

- لا.. ليس هذا الزعيق فناً.

● من هى المطربة التى تشجيك وتحرس على سماع صوتها؟

- أم كلثوم.

● بعد رحيل أم كلثوم؟

- مازالت أم كلثوم موجودة.

● آخر مسرحية شاهدتها.. وآخر اسطوانة سمعتها.. وآخر كتاب قرأته.. مع

انطاباتك؟

- النسر الأحمر.. وكان يمكن أن نكون أفضل «نجوى» لمحمد عبد الوهاب..

إنها من أعظم ما أبدع. وإنما أروع من عبد الوهاب القديم.. ليته يواصل.. فصوته يتجدد أبداً، «سنوات الهوان» كتاب إبراهيم سعدة.. من أهم وأفضل الكتب التى صدرت حديثاً.

● أجهزتنا الإعلامية الآن.. من صحافة.. والإذاعة المرئية والمسموعة.. هل

أصبحت فى مستوى عصرها. وفى مستوى ما يحدث عندنا؟

- الإذاعة تدهورت عن المستوى الذى كانت عليه منذ ثلاثين عاماً.. التلفزيون

أسوأ عشر مرات مما كان عليه وقت إنشائه.. الصحافة.. انتحرت وتلفظ أنفاسها!!

● سؤال أخير يا دكتور.. فطلبتك وتلاميذك على ما يبدو قد ضاقوا بإطالتي -

معدرة يا إخوة سأتركه لكم - ثمة ملاحظة لا أحب أن أكتبها عنك.. أصدرت أنت

مجلة «المسرح» وجاءت مجلة جادة ذات مستوى رفيع وأسهمت فى خلق ثقافة مسرحية

نقداً وإبداعاً . . كانت تنفذ بمجرد صدورها لأهيتها . . الآن نلاحظ أن مجلتك «الجديد» خفيفة . . وليست في مستوى مجلة المسرح ؟

- مجلة المسرح مسألة مختلفة تماماً . . لأنها كانت مجلة متخصصة ، ومن الطبيعي أن تكون ذات وزن ثقيل لأن طبيعتها تدعو إلى هذا وتقتضيه . . «الجديد» مجلة ثقافية عامة غير متخصصة . . المهم في الجديد أنها تخاطب الجميع . . مجلة للجميع . . تستهدف تقريب الأدب والثقافة من الجماهير . . وتقريب الجماهير منها ، هذه سياستي لها منذ البداية . . لأن المثقفين إذا كانوا موجودين «وهذا أمر مشكوك فيه» فهم لا يقرأون . . وفي تصوري - رغم أني لا أزعم الاشتراكية - أن واجب الدولة هو أن تنشر الثقافة على مدى واسع بحيث لا تقتصر على فئة دون أخرى . . وأعتقد أن تلك كانت رسالة «الجديد» وقد نجحت فيها . .

● نظرات طلبتك تقذف الغيظ وتوشك أن تنقض . . عندي ما يقال ولدى رغبة في المناقشة . . ولكن النظرات نفذ صبرها . . سلام عليكم . . شكراً يا دكتور . . يوليو سنة ١٩٧٥ .

مولود قاسم

الإستشهاد . . تحت راية الإسلام !

● هذا الرجل . . مولود قاسم وزير التعليم الأصيل والشئون الدينية بالجزائر واحد من أنشط العناصر الجزائرية المثقفة . . والتي تقع على عاتقها مهمة تأكيد الانتماء الجزائرى للعروبة والإسلام . . وهو يقوم بدور بالغ الأهمية فى إعادة اللسان الجزائرى لأصوله العربية . وهو يجمع فى ثقافته بين أصالة التراث وعظمته . وبين معطيات العصر وحداثته ، ومن أجل هذا ووفقاً لهذا انطلقت دعوته : « لكنن أبناء عصرنا مع المحافظة على أديم مصرنا » ، تعبيراً عن الأصالة والمعاصرة ، طريقاً لبناء الوطن الجزائرى الجديد . وخلال انعقاد الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامى « بورجلان » التقيت بمولود قاسم لأطرح عليه بعض التساؤلات التى قدم هنا إجابته عليها . . .

ليكن الإسلام حاضراً على الدوام :

● قلت لمولود قاسم وزير التعليم الأصيل والشئون الدينية بالجزائر : مبادرة طيبة

تلك التى تقدم عليها الجزائر كل عام لطرح قضايا الفكر الإسلامى فى ملتقى عام فى محاولة لاستخلاص حلول لما يواجه هذا الفكر من مشكلات . . هل تعتقدون أن هذه الملتقيات قد حققت الغرض منها . . هل أشاعت مناخاً فكرياً لمواجهة فى البلدان التى تدعى وفودها لهذا الملتقى . . أو على الأقل فى الجزائر ذاتها ؟

- وأجابنى مولود قاسم بقوله :

بالطبع لا يمكن أن تتحقق النتائج الموجودة فى التو واللحظة . . فهذا عمل متواصل يعطى ثمرته على المدى الطويل . ومع ذلك يمكننا القول بأن هذه الملتقيات بمحاضراتها ومناقشاتها ومطبوعاتها . وأجهزة الإعلام التى بها قد أحدثت جواً ثقافياً وروحياً ، لا أبالغ عندما أزعـم بأنه يبشر بالخير ويفتح آفاقاً مشرقة . . مما يشجعنا على الاستمرار والمواصلة والاستزادة من هذه الملتقيات . . إنهم هنا فى الجزائر أساتذة الجامعة وطلبتها . . وشباب الثانويات المتعطش للثقافة ورجال الإعلام والصحافة يستفيدون من الآراء التى تطرح فى الملتقيات ، ومن الحوار الذى يجرى بينهم وبين المدعويين لهذه الملتقيات من رجال الفكر الإسلامى وغيرهم من المفكرين الأجانب . . بل إننا على مستوى أجهزة الدولة الثقافية نتبنى كثيراً من الأفكار التى يصل إليها الملتقى والتوصيات التى يختم بها أعماله .

أما خارج الجزائر من بلدان العالم الإسلامى . . وحتى من غير البلدان الإسلامية فكثيراً ما تترد إلينا أصدااء ما يدور فى هذه الملتقيات . وكل هذا يشجعنا على الاستمرار فى هذه الملتقيات وتوسيع مجالاتها وتنويع محتوياتها .

إن علينا أن نجعل الفكر الإسلامى حاضراً على الدوام ليقدم الحلول لكل ما يواجهه العالم الإسلامى من مشاكل وتحديات . وهذا أفضل طريق لتحصين الأجيال ضد كل أنواع الغزو الفكرى . ويعطيها الثقة فيما لديها والإيمان بقدرته للوصول إلى المستقبل

كلمة الجهاد . . تعنى الإسلام :

● قلت : وبالمناسبة نعرف أن الإسلام لعب دوراً ثورياً حاسماً في إنهاء الوضع الاستعماري في الجزائر . برغم كثافة هذا الاستعمار وعمق تغلغله . . ما هو الدور الذي يلعبه الآن في مسيرة الجزائر نحو المستقبل ؟

- بلا جدال لعب الإسلام الدور الأساسي في إنقاذ الجزائر من السيطرة الفرنسية ، بل كان المحرك الأوحـد لتأكيد القومية الجزائرية في مواجهة محاولات إبادة هذه القومية . . ويكفي أن نـرمز لتأكيد هذا بثلاثة أسماء كلها لمسعى واحد . . إن الكفاح التحريري كان يسمى بلسان الشعب «الجهاد» وصحيفة جبهة التحرير هم الحكومة المؤقتة كانت وما زالت تسمى «المجاهد» وثوار التحرير والمقاتلون من أجل الحرية كانوا يسمون «المجاهدين» ولدينا الآن «وزارة قدماء المجاهدين» و«الجهاد» برغم ما يتبادر من مدلول لغوي واسع لها هي كلمة إسلامية لا يمكن أن توحى إلا بالمضمون الإسلامي الذي يقف وراءها .

أما ما هو دور الإسلام اليوم في الجزائر فإنه لا يقل عن دوره بالأمس . . كان في الماضي يمثل حصانتنا ضد اقتلاع الذات . . وهو اليوم يفرز لنا فعاليات هذه الحصانة ومناعتها في مواجهة كل الأيدلوجيات وتصفية كل روااسب الاستعمار وكل ما يرد إلينا من أنواع فكرية تستهدف التأثير في مقوماتنا وخصائصنا . . من أى جهة جاءت وبأى لون تسربت . وهذا الذي أقوله لك عن الإسلام يبدو جلياً في أجهزتنا التربوية والثقافية خصوصاً في مجال التعليم . . كما يتمثل واضحاً وناصباً في الوثائق الرسمية للدولة والحزب . ويؤكدـه الميثاق الوطني . . كما يؤكدـه دستورنا الذي صدر مؤخراً . . إن الدين الرسمي لدولة الجزائر هو الإسلام . وليس هذا مجرد نص تقليدي . . إن الإسلام بالنسبة

لنا أنفاس وجودنا وهواء حياتنا . . وليس معنى هذا أن نتوقع ونغلق دون العالم والعصر . والاستفادة من التجارب الناجحة لدى الغير . فالإسلام يحثنا على السير في الأرض ، واحترام تجارب الغير . لنظل راسخى الأقدام على أديمنا مستدين بالدرجة الأولى إلى حصانتنا وقيمنا العربية وارتباطنا بالأمة الإسلامية الكبرى .

كل الثورات قامت تحت علم الإسلام

● إن حماس وإخلاص الذين يدبرون جهاز السلطة الوطنية في الجزائر للعروبة والإسلام يدعوانني للتساؤل عن مدى الدور الذى لعبته الثقافة الإسلامية في تشكيل مكونات هؤلاء القادة روحياً وفكرياً ؟

- لدينا هنا في الجزائر كثير من القيادات الوطنية المسئولة من الذين تشبعوا بالثقافة الإسلامية بأعمق وأوسع المعانى . . كما أن لدينا بعض الذين أخذوا منها بنصيب وافر بدرجات متفاوتة سواء منهم الذين درسوها في معاهد وجامعات المشرق وخاصة مصر وبعض البلدان الشقيقة . وبلدان المغرب . . إن كل الثورات التى اشتعلت في الجزائر غداة الغزو . . كلها بلا استثناء كانت تنطلق باسم الإسلام . ترفع رايته وتهتف باسمه . وتواجه الاستشهاد تحت علمه . . وإذا استعرضنا كل هذه الثورات تأكدت لنا هذه الحقيقة ، وعندما نرجع إلى الإنسكلوبيديا الفرنسية في جزءها الخاص بالجزائر نجدهم يعترفون بهذه الحقيقة ، حقيقة أن كل ثورات الجزائر قامت باسم الإسلام ومن أجله . وعندما استطاعت فرنسا أن تحمد الكفاح المسلح قامت الحركة الوطنية والسياسية والإصلاحية باستيحاء أفكار جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وشكيب أرسلان على أساس إسلامى بالدرجة الأولى .

وكانت هى التى أدت على مختلف مراحلها فى النهاية إلى استئناف الكفاح المسلح

فى نوفمبر ١٩٥٤ وكان لابد أن يكون هذا الكفاح الطويل باسم الإسلام هو صاحب التأثير الأورحد فى كل الذين رفعوا السلاح ليعيدوا للجزائر استقلالها . . وليعيدوها للعروبة وللإسلام .

علينا أن ننقذ أفريقيا

● طرح فى الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامى مؤخراً . موضوع الإسلام الآن فى أفريقيا . ما هو المطلوب من العالم الإسلامى والعربى بالذات للحفاظ على إسلام الأفارقة وترسيخه فى مواجهة عواصف فكرية تهب الآن على القارة . . وماذا تستطيع الجزائر المسلمة العربية أن تقوم به فى هذا المجال ؟

- أنت تعرف أن الوضع الجغرافى «لورجلان» التى يحتضن صدرها هذا الملتقى غير بعيد عن بلاد السودان بالمعنى الواسع كما كان ابن خلدون يطلق على أفريقيا . . ونحن نعرف أن التبشير والغزو الفكرى فى المجالات المختلفة يستعمل جميع الوسائل فى بلدان أفريقيا فى شمالنا الواسع من السويس حتى غرة الأطلس ، فهو يركز بالدرجة الأولى على إخواننا تحت الصحراء - أفريقيا الجنوبية - وما قضية السودان ببعيدة عنا وإن لم تبرز بالشكل الإعلامى الذى يحيط بكل أبعادها . .

إن أفريقيا تعرض الآن لمحاولات التسرب بكل الأشكال القديمة والحديثة وعلى الدول الإسلامية أن تفتن لهذا وأن تمارس دوراً جدياً فى حاية القارة من هذه المحاولات التى تريد النفاذ إلى أحشائها . . وإحباطها بوسائل فعالة . . علينا أن نشط لإقامة الجامعات والمراكز الثقافية . . والمدارس باللغة العربية . . واللغة الأجنبية السائدة فى كل منطقة والتى ورثتها عن المستعمر الذى كان يهيمن على شئوننا .

وفى انحص الجزائر فإننا بجانب ما نقدمه فى المجال الاقتصادى والثقافى والتقنى

لبعض الدول الأفريقية في حدود إمكانياتها المتواضعة فيمكنني أن أشير إلى بعض ما نقوم به من استقبال أعداد وفيرة من طلبة هذه الدول في مدارسنا حتى البكالوريا حيث ندرس لهم المواد باللغة العربية أولاً وباللغات الأجنبية ثانياً . . وفي خطتنا أن نستقبل بافتتاح بعض الثانويات في التعليم الأصلي أضعاف هذه الأعداد مستقبلاً . . وبافتتاح كلية الشريعة والقانون المقارن في العام القادم بإذن الله والتي ستكون نواة لجامعة إسلامية متكاملة بجانب الكليات العلمية . . سوف تتمكن من تخفيف العبء على الجامعات الإسلامية في البلدان الشقيقة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من طلبة أفريقيا . . ولكن هذه الجهود هي دون المطلوب . . إذا أردنا أن نحصن أفريقيا بطريقة جادة . .

● في مصر نتابع نحن تجربة الجزائر لتعريب محيطها . . وزارتك تقوم بدون رائد في مجال التعريب . . ما مدى النجاح الذي حققته . . وهل هناك عقبات تواجه التجربة ؟

- هل سمعت النشيد الذي كان يردده طلبة الجزائر لحظة افتتاح الملتقى «شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب» إن انتسابنا إلى العروبة هو حقيقتنا الجوهرية الأولى . . وتعميق هذا الانتساب لابد أن يصاحبه أن تكون العروبة هي اللغة صاحبة السيادة على كل المحيط الجزائري . وهناك جهود منسقة تتم على مختلف دوائر الدولة والحزب من أجل إحلال اللغة العربية . . لإعطاء الشخصية الجزائرية كل مقوماتها بدون تعصب أو تشنج ، ولكن انطلاقاً من كون اللغة هي المقوم الأساسي لتأكيد شخصية الأمة ، أي أمة . . لقد حاول الاستعمار الفرنسي عزل الشعب الجزائري عن لغته الطبيعية . . ومن الطبيعي أن تعود للشعب الآن لغته . . وفعلاً وجد نوع من المقاومة لسياسة التعريب من بعض الذين حرمهم الوضع الاستعماري من تعلم اللغة

الأم . . وهؤلاء تقدمت بهم السن ويعملون في جهاز الدولة ، وظنوا أن سياسة التعريب تضر بمصالحهم كموظفين في جهاز الدولة التي أعلنت حتمية أن يتعلم جميع من هم في جهاز الدولة العربية . . وخصصنا لذلك بعض الساعات واحتسبناها من ساعات العمل الرسمية . . ولأن هؤلاء استخلصوا من هذا بعض التصورات الخاطئة فقد قابلوا هذه العملية الوطنية بنوع من الشك والتشاؤم والعرقلة الصامتة . . وبعضهم بدون شك كانت تحكمه العقدة الاستعمارية في تحقير اللغات الوطنية والزرع بأنها غير قادرة على مجازاة العصر .

ولكن التجربة المخططة والتوعية المنظمة استطاعت أن تقنع هؤلاء وأولئك بأنهم أساءوا التقدير .

إن استتباب سياسة التعريب بشكل مذهل وإقبال الجميع على إتقان العربية يجعلنا في غاية التفاؤل بشأن نجاح سياسة التعريب . . لقد اندحرت كل الحجج التي زعمت بأن العربية غير قادرة على ملاحقة العصر وإنجازاته العلمية . . لقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى حتى بداية النهضة هي لغة العلم في جميع أنحاء العالم . . أو على الأقل في حوض البحر الأبيض حتى حدود الشمال الأوربي . . وتستطيع اليوم بخصائصها الذاتية أن تكون إحدى اللغات العلمية على مستوى العالم بأسره .

فبراير سنة ١٩٧٧

ثروت أباطة

عندما بدأ التلفزيون كنت لا أفارقه . . الآن لا أكاد أراه ! !

تقف أعمال الكاتب المصرى ثروت أباطة علامة متميزة من معالم حركتنا الأدبية فى الرواية والقصة القصيرة . . وقد امتد تأثير هذه الأعمال إلى مجالات فنية أخرى غير مساحة الكلمة المقروءة فأخذت مواقعها من خريطة السينما والإذاعة والتلفزيون مروراً بالمرشح . . وأصبحت بذلك جزءاً من نسيج قماشنا الفنى بنوعياته المختلفة . . وفى هذا الحديث يقدم لنا ثروت أباطة إجاباته عن تساؤلات طرحتها عليه .

● قلت لثروت أباطة :

بدأ تعاملك مع التلفزيون بقصة « هارب من الأيام » التى قدمتها السينما بعد ذلك . . فى رأيك من منها كان أكثر إجادة فى تقديم القصة فنياً ؟
- إن شئت الحق كان المسرح أكثر توفيقاً فى تقديم القصة ، فقد عرضتها فرقة الإسكندرية المسرحية من إعداد أمينة الصاوى بصورة أفضل مما ظهرت به فى

التلفزيون أو السينما أو الإذاعة ، فالأخيرة قدمتها أيضاً وأعدها الأستاذ أحمد عباس صالح لإذاعة «صوت العرب» أما المقارنة بين السينما والتلفزيون فهي مقارنة جد ظالمة لأن مدة العرض في التلفزيون تجاوزت ١٢ ساعة بينما مدة العرض على الشاشة بالسينما لم تزد على ساعة ونصف .

● هل أنت راض عن الأفلام السينمائية التي أخذت عن رواياتك . . وفي أى فيلم كانت السينما أكثر توفيقاً في التعبير عن وجهه نظرك كما تضمنتها الرواية ؟
- أنا لا أطالب السينما أو غيرها من وسائل الإعلام أن تظهر العمل الروائي المكتوب كما هو . . وإذا انتهينا إلى هذه النتيجة فمن الميسور أن تكون الإجابة عن سؤالك بنعم . . ولعل «شيء من الخوف» هو خير ما ظهر من أعمالي حتى الآن . . وإن كنت أتوقع للفلمين اللذين سيرضان هذا العام وهما «لقاء هناك» و«أمواج بلا شاطئ» نفس نجاح «شيء من الخوف» لقد شاهدتهما في عرض خاص . . وشعرت بالارتياح . .

● جربت كتابة الحوار لبعض الأفلام . . ما السر في أنك لم تدخل مجال السيناريو . . هل عرض عليك ذلك ؟

- السيناريو في الواقع رؤية جديدة للعمل الفني . . وقطعاً ليست منفصلة ولا مغايرة ، ولكنها تنطلق من زاويتها الخاصة التي تتلاقى معه ، ولكنها تتميز عنه ، ولذلك أصر دائماً على وجود كاتب سيناريو معي عند تحويل أعمالي إلى السينما . . إن كتابة السيناريو فن قائم بذاته لم أبدأه من أوليات حياتي ، وأخشى الآن أن أدخل مجال تجربة جديدة . . أما كتابة الحوار فهي من صميم عملي ، فقد بدأت كاتباً إذاعياً والحوار جزء أساسي من العمل الروائي . . وهو في السينما يحدد الشكل الدرامي للفيلم وهو عمل تمرست عليه ولا أخافه . . وأصارحك بأنني أقدمت مرة على تجربة كتابة سيناريو

بمساعدة المخرج الذى زين لى هذا . . وفشلت التجربة . والحمد لله أن فشلها ظل مسطوراً على الورق فحسب . .

● بعد هذا الرواج الذى يحققه الفيلم العربى . . بماذا تنصح رجال السينما حتى يستمر هذا الرواج فى تصاعد يعتمد على المستوى . . فهناك محاذير من أن يتوكل رجال السينما على هذا الرواج فيتناسوا الجودة الفنية ؟

- أبغض أن أقف موقف الواعظ الذى يقدم النصيحة . . ولذلك فأنا لا أقدمها . . وإن كنت أقبلها . . ولكنى أطمئنك بأن الجمهور وحده كفيل بوضع رجال السينما على الطريق الصحيح ، ولا يخفيك هذا الإقبال الظاهرى على الأفلام التافهة الهابطة . . فبجانب هذا الإقبال وفى ذروته تجد المنتجين يتجهون إلى كبار الكتاب لشراء أعمالهم لإنتاجها وهم حين يفعلون ذلك يقدرّون حقيقة أن البقاء للأصلح . . وأن الإقبال على التافهة مؤقت منها طال أمده .

● ولكننا نجد أفلاماً تافهة الموضوع ركيكة الإخراج تجد إقبالاً . . فهل معنى هذا أن الجمهور فسد ذوقه ؟

- من التجنى أن يُقال هذا . . الجمهور يحب أن يضحك وأن يهرج أحياناً . . وهو على استعداد أن يتقبل هذه التفاهات مرة أو مرتين أو أكثر . . ولكن المنتج هو ميزان الجمهور ، ولو كان على يقين من أن هذا الإقبال على التافهة سوف يستمر لأعرض عن شراء قصص كبار الكتاب . . إن الجمهور أشبه بمار فى طريق سماع نكتة وقحة فضحك ثم انصرف . . ولكنه لن يتوقف فى كل مرة ليسمع نفس النكتة . . فتأكد أن الجمهور سوف ينصرف عن هذه التفاهات التى تقدم له .

الكاراتيه وأرسين لوين :

● طيب . . ما هو تفسيرك لظاهرة إقبال الجمهور على أفلام العنف والكاراتيه . . قطعاً هناك سر وراء الظاهرة ؟

- تبقى في الإنسان غالباً بقايا من طفولته . . عندما كنا صغاراً كانت تروقنا وتبهزنا الحركات البهلوانية وأفلام « الشجيع » والحلقات . . وهذا في حد ذاته لا يمثل شراً في النفس ، فنحن قد نحب أن نرى على الشاشة بطلاً يضرب آخر ، ولكننا في نفس الوقت لا نحب أن نكون في نفس الموقف لا ضارين ولا مضروين . والجمهور في السينما قد يعجب بتصرفات الشرير أو اللص ولكننا عندما نجد نفس الممثل الذي قام بدور الشرير قد أصبح رجل شرطة يطارد اللصوص ويحمي الأمن فإن تصرفاته تستدعي نفس الإعجاب من الجمهور . ولعلك تذكر أنه في نفس الفترة التي كانت توزع فيها روايات « أرسين لوين » برواج رهيب كانت روايات « شرلوك هولمز » توزع بنفس الرواج . . الأول لص ذكي . . والثاني مفتش بوليس يقط . . والجمهور في الحالين يعجب بالذكاء والأعمال الخارقة دون نظرة جديدة إلى الأخلاقيات التي تقف وراء هذه الأعمال . . فالإقبال اليوم على الكاراتيه وأعمال العنف امتداد لإقبال جيلنا على حلقات اللص الشريف . والخبر الذكي .

● تدعونا ظاهرة رواج الأفلام المبلودرامية . . و« المفبركة » إلى تساؤل . لماذا يشتري المنتج قصص كبار الكتاب بأسعار مرتفعة نسبياً . . وهي مهما نجحت فإنها غالباً - ودوننا شبك التذاكر - لا تنجح قدر النجاح الذي حققته أفلام المبلودراما والتوليفات التقليدية المعروفة ؟

- المبلودراما في ذاتها غير مرفوضة أصلاً . . وهناك ظاهرة أحب أن أتطرق إليها .

هناك نقاد أوجدوا أسماء وجعلوا الهجوم عليها أمراً مسلماً به . ومن ذلك كلمة الميلودراما . . بينما هي لا عيب فيها إذا أحسن الكاتب تقديمها والخروج بإخراجها . ومن الأسماء التي روج النقاد ضدها كذلك « الشخصية المسطحة » ، بينما هي من أصلح الشخصيات للأعمال الدرامية . فالشخصيات المسطحة التي يتناول الكاتب فيها جانباً واحداً من الشخصية وهو أساساً يريد لشخصيته أن تبدو من هذا الجانب وحده . . كالمصور الذي يلتقط صورة جانبية من زاوية معينة فلا أحد يستطيع أن يهتمه بالخطأ لأنه فعل هذا . . ولأضرب لك مثلاً . . شخصية « جان دارك » لقد قرأت أغلب الأعمال الأدبية التي تناولتها . . برناردشو . ماكسويل إندرسون - ترجم ثروت أباطة للبرية مسرحيته عنها - جان أنوى وغيرهم . . وإذا كنت أنت قد قرأت هذه الأعمال فأعتقد أنك ستوافقني على أن جان دارك بدت لنا من خلال أعمالهم شخصية مسطحة . . ومع ذلك فهي من أنجح الشخصيات الروائية . . ونفس النجاح كان لها في السينما والمسرح . فدعنا من هذه المسميات . . المهم طريقة تناول واقتدار الفنان على تصوير شخصيته من الزاوية التي يراها . .

الفنان هو الأساس :

● التلفزيون بعد مسيرته الطويلة نسبياً عندنا ما هو تقويمك للمسافة التي قطعها ؟
- أولاً . . هل قطع التلفزيون مسافة إلى الأمام . . أم تراه قطعها إلى الوراء . . الحقيقة أنني كنت حين بدأ التلفزيون لا أكاد أفارقه . . والحقيقة أنني الآن لا أكاد أراه . . والعجيب أن الخبرة الضخمة التي تتمثل في الإذاعة تتخلف تحلفاً واضحاً في التلفزيون ، وهذا يرجع إلى أن القائمين على التلفزيون كانوا يعينون موظفين ليكونوا فنانين . وأنت تستطيع أن تعين شخصاً ما في أى وظيفة يريد لها أو تريدها له . . ولكنك

لا تستطيع لأنت ولا غيرك أن تصنع فناً . . وللأسف لم يحاول القائمون على التليفزيون البحث عن الفنانين . . وإنما نظروا في الشهادة أو الرخصة وعينوا . . وكان هذا الفشل الذى تراه . .

لا بأس . . ولا بد :

● الأعمال الأدبية العالمية . . هل توافق على اقتباسها وتمصيرها . . أو لا بد من تقديمها معربة مع الالتزام بالنص ؟

— أوافق على الاتجاهين . . لا بأس من الاقتباس . . ولا بد من الترجمة . .
فالأعمال العالمية تسم بأنها إنسانية والمحاور الأساسية التى تقوم عليها تصلح للعالم أجمع ،
فإذا استطاع المقتبس أن يجعل الخلفية مصرية دون أن يشعر المتفرج بالأصل الذى اقتبس منه فالأقتباس هنا مفيد ويثرى . . أما الترجمة فلا بد منها أساساً ولكنها ستوافق الفئة المثقفة من الجماهير ويندر أن يستجيب لها الجمهور العادى . فى السينما على وجه الخصوص .

● بعد انتشار موجة الأغاني الخفيفة . . هل للأغنية ذات النفس الطويل . .
والأغنية القصيدة مستقبل . . ؟

— أعتقد أن الأغنية القصيدة هى المستقبل لأنها فى تصورى تشعر الجمهور بأنه مثقف . . يستطيع أن يتذوق كلماتها ويستجيب لها ويتجاوب معها . . أما الأغنية الطويلة فأعتقد أنه لا سبيل لها أن تعيش بعد وفاة أم كلثوم ولا داعى أن تعيش . .

أوبريت مجنون ليلي :

● وبالمناسبة . . من هى المطربة التى ترى فى صوتها خصائص ملائمة لأغنية القصيدة الشعرية . . ؟

- فائزة أحمد . . ونجاة . وبالمناسبة أتمنى أن يلحن الأستاذ الكبير محمد عبد الوهاب « أوبريت مجنون ليلي » ليغنيه عبد الحليم حافظ مع نجاة . . فهذا هو العمل الجدير به والكفيل بأن يكتب له الخلود المؤكد . .

● ما هى الأسماء الجديدة التى لفتت نظرك فى مجال السينما ؟

- من كتاب السيناريو أحمد عبد الوهاب ومصطفى يركات ورأفت الميهمي ومصطفى محرم . . ومن كتاب الحوار لم يلفتني أحد . الحوار الذى سمعته مجرد جمل تقليدية محفوظة تكاد تكون على المقاس بدون أن يتم منها ما يكشف أبعاد الشخصية أو يكشف العمل الدرامى . . حتى النكتة أجدها مصنوعة غير متدفقة . . وفى المونتاج لا أحد يستطيع فى رأى أن يقف مع سعيد الشيخ . . وفى الإخراج أشرف فهمي وعلى عبد الخالق ولم أشهد للأستاذ سعيد مرزوق فيلمه الأخير وأرجو أن يكون قد نحا فيه إلى شيء من الاقتراب من الجمهور وفى التمثيل بوسى أعجبتنى . . وقد سمعت عن حياة قنديل كلاماً طيباً . . وهناك ممثل اسمه حسن عبد الحميد رأيت فى التلفزيون . . وأتمنى أن يمثل لى شيئاً فى السينما . .

● ما هو توقعك لمستقبل السينما . . هل يمكن أن يقضى عليها التلفزيون ذات يوم . . وأنا هنا أحدث عن السينما عالمياً وكذلك التلفزيون فأربك الذى ذكرته هنا من قبل فى التلفزيون المصرى بالتأكيد لا ينطبق على التلفزيون عالمياً ؟

- بدون شك كان للتلفزيون تأثيره فى السينما عالمياً ولعلك تدرك هذا من إفلاس

بعض شركات الإنتاج التي كانت قوية في أمريكا ، ولكنى أعتقد أن أثره قد انتهى إلى هذا الحد ولم تعد أمامه مساحة ليكسبها . . وربما انتهى به الأمر إلى التراجع بدلاً من الامتداد ، وتعود السينما إلى مكانها فالتلفزيون أخذ زهوته وراحت عنه جدته ، وبقيت السينما وأعتقد أنها ستبقى . والدليل على ذلك أن السينما لا تستطيع أن تقضى على المسرح وتستخرج شهادة وفاته كما ظن البعض حين ظهورها . . ولكل فن مقوماته التي لا يمكن أن تغنى من مقومات الفن الآخر . . والجاهل يستطيع أن تستوعب كل الفنون الموجودة وأكثر منها عندما توجد .

● الرقابة السينمائية ما هو موقفك منها هل ترى أن تبقى أو تحبذ إلغائها ؟
- لا بد أن توجد . . وهى موجودة فى كل الدنيا . . بشرط ألا يكون الرقيب كاتباً للسيناريو أو محاولاً لذلك . . وألا يكون للرقابة حق الحكم على جودة الفيلم أو عدم جودته ، لأن هذا الحق ملك للمنتج وللجمهور وحدهما . .
● فى هذه الحالة ماذا يبقى لها ؟

- يبقى لها فحسب أن تمنع الفحش البالغ . . هذا مجرد دورها . .

عبادة الرسول يجلس فوقها الشعراء :

● عندما يشترى منك قصة لإنتاجها سينمائياً . . هل تكون لك علاقة بها عند التنفيذ ؟

- إذا لم يتفق معى على كتابة الحوار لها . . ينتهى دورى عند كتابة العقد ولو أنى أصر دائماً على كتابة الحوار . .

● رواياتك الأدبية تقف خلفها وتؤكد من خلالها رؤية سياسية تتخفى خلف الأشخاص والأحداث ، إن وافقتنى على هذا أسالك . . هل فطنت السينما فى الأفلام

التي أخذت عن رواياتك إلى هذه الخلفية السياسية أم أنها اعتمدت على الموضوعات الاجتماعية فيها ليس إلا ؟

- إن كتابتي لحوار هذه الأفلام جعلت المفاهيم المتخفية وراء العمل موجودة بحيث يصبح من الصعب بمكان ألا يتنبه الجمهور لها . . فإذا لم يتنبه فحسبه أنه رأى قصة أمدته بشيء من المتعة خلال فترة المشاهدة .

● أخذت السينما قصصاً من توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويوسف السباعي ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس وعبد الحميد السحرار وعبد الحلیم عبد الله وأمين يوسف غراب وثروت أباظة وغيرهم من الكبار بجانب بعض أعمال الأدباء الشبان فهل استطاعت الرواية الأدبية أن تشكل قوة ضغط على السينما المصرية للارتفاع بمستواها ؟ - أعتقد أنها - وخاصة في الفترة الأخيرة - قد شكلت فعلاً هذه القوة الضاغطة . ونجاح أغلب الأفلام التي أخذت من أعمال من ذكرت جعل الاعتماد على الأعمال الأدبية يضمن للمنتج نسبة مؤكدة من توقع النجاح .

● مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي « ثار الله » - « الحسين ثائراً والحسين شهيداً » مازال هناك اعتراض على ظهورها فوق المسرح . هل هناك سند شرعي تعتمد عليه وجهة النظر المعارضة لظهور الشخصيات الدينية على المسرح ؟ .

- السند الشرعي كما تعلمناه في القانون أن يرد ذلك في القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، والذي لاشك فيه أن القرآن الكريم لم يمنع هذا . والذي أعرفه أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكرم الشعراء . وكان يفرش عباءته الطاهرة ليجلس عليها المجيد منهم . وكان يقول للخنساء حين تنشده شعراً « هيه يا خنساء » فإذا أخذت أسأتدتنا المشايخ بالقياس وهو من مصادر التشريع فإن عليهم أن يكرموا الشعر . . وإكرامه يكون بإتاحة السبيل له أن يلتقى بالناس . . وإذا كان هذا الشعر ينظر إلى الدين ويعلى من

شأنه ويكرم الصحابة الأقرين من رسول الله فهو أولى بالوصول للناس . . وقد تجد الرواية الفنية من الزواج والانتشار وقد تملك من التأثير مالا تحققه ألوف الخطب والمواظ .

السينا لا تحتل الفشل مرتين :

● ما هي الضوابط المفروض أن نضعها أمام من يدخل ميدان الإنتاج السينائي . . هل نسمح لكل من عنده الفلوس أن يدخل الميدان . . أم لابد من حماية المهنة من الدخلاء عليها ؟

- من أراد أن يدخل فليدخل . . وكل إنسان حر فيما لديه . . أما المتطفلون والدخلاء فسوف تكون التجربة خير مؤدب لهم . . وسوف يقلعون عند الفشل الأول لأن الخسارة في السينا لا تحتل الفشل مرتين . .

● ما موقفك من رأى ينادى بضرورة عودة القطاع العام إلى ميدان الإنتاج . . ومن رأى آخر ينادى بترك القطاع الخاص وحده ؟

- سأتى قريباً الوقت الذى يستطيع فيه القطاع الخاص أن يقف على قدميه بعد وهن طويل ، وحتى يأتى هذا الوقت فعلى الهيئة العامة للسينا ألا تبعد عن مجال الإنتاج ولتقتصر إنتاجها على الأعمال الضخمة التى يعجز القطاع الخاص عن القيام بها . . بحيث لا يتجاوز هذا فيلماً واحداً فى العام مثلاً .

● قلت لثروت أباطة فى النهاية :

هناك أفلام إسرائيلية تعرض فى عواصم الغرب تحاول من خلال قصص قد تبدو بعيدة عن السياسة المباشرة إيهام الرأى العام بأحقية الوجود الإسرائيلى فى أرض فلسطين ، ومن هنا يأتى دور الفن عندما يكون ذكياً . . لدينا قضية عادلة هى قضية

أرض الشعب الفلسطيني المغتصبة . . لماذا لا تقدم السينما عندنا على بلورتها للعالم ؟
- ينسى الكثيرون أنه ليس هناك شيء اسمه الفكر الإسرائيلي أو الثقافة الإسرائيلية . . إسرائيل في نشأتها وبمكوناتها عبارة عن جميع الدول الغربية بثقافتها وتفكيرها وتراثها الحضارى . ولهذا فاللغة بين إسرائيل وبين هذه الأمم مشتركة الأمر الذى لا يتاح لنا . . وإن كان علينا بواسطة ما أحرزناه من تعاطف معنا وتفهم لموقفنا فى الفترة الأخيرة أن نحاول النفاذ بذلك إلى قلب العالم حولنا لاكتساب المشاعر المتعاطفة مع قضيتنا . . وأتمنى أن تجد السينما سبيلاً إلى لغة مشتركة بيننا وبين العالم لتوصيل قضايانا لا من خلال الخطب والزعيق وإنما بواسطة موضوعات إنسانية تعتمد على الإيجاء والدلالة .

● تحقيقاً لهذا ما رأيك فى فكرة تكوين شركة إنتاج عربية ذات رأس مال ضخمة تسهم فيه جميع الحكومات العربية لإنتاج أفلام عالمية تصنع لغة مشتركة بيننا وبين العالم لخدمة قضايانا الوطنية ؟

- تلك فكرة مستحبة ومطلوبة ولا أحد يرفضها . . ليتها تتكون هذه الشركة . . ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن تعتمد على أفلام إنسانية من خلالها تنفذ بقضايانا . . وأن تكون الأفلام أيضاً تاريخية جذابة . وفى هذه الحالة فالنفع الذى يرجى منها مؤكد . . أما إذا اتجهت إلى الدعاية فلن يقبل جمهور العالم عليها . . لأن الجمهور لا يسعى إلى الدعاية وإنما هى تسعى إليه . . وجمهور السينما يستهدف بالذهاب إليها أن يتسلى لأن يتعلم ، فإذا كنت ذكياً وفناناً ودمست له الفكر فى طوايا التسلية تكون قد بلغت منه ما تريد .

« مايو » ١٩٧٥

سعد مكاوى

لا يمكن للنقد المنحرف أو المغرض . . أن يوقف الفنان الحقيقي

منذ أواخر الأربعينيات ومسيرة الفنان الأديب «سعد مكاوى» تنطلق متواصلة في درب حياتنا الأدبية . . فقد قدم لنا كثيراً من المجموعات القصصية التي أسهمت بدور بالغ الأهمية في تأصيل فن القصة القصيرة عندنا . . كما أعطانا ثلاث روايات تعتبر من أهم إنجازات الرواية العربية الحديثة . . بجانب ترجمات المتعددة والمتباينة . . لروائع من الأدب العالمى . . وهو الآن يطرق عالم المسرح بمسرحية فرغ منها هي «الميت والحى» وأخرى يعكف على كتابتها باسم «المهدى المنتظر» .

وبرغم دوره البالغ الأهمية في حياتنا الأدبية حتى أن كاتباً كبيراً من أعلام حركتنا الأدبية المتطورة وهو الأستاذ عبد الرحمن الشقراوى لا يجد غضاضة في الاعتراف بأنه تتلمذ على يد سعد مكاوى وأنه كان يكتب على نسقه في بداية حياته الأدبية وأنه هو الذى قاد خطواته إلى تشيكوف وجوركى ودستوفسكى . . وبرغم هذا فإن النقد لم

يعط هذا الفنان حقه من الأهمية التي تعادل أهمية إنتاجه . . ولم يبدأ الاهتمام النقدي به إلا مؤخراً .

وقد التقيت بفناننا الكبير سعد مكاوى فى محاولة للاقتراب من عالمه ومعرفة رأيه فى مسائل تتعلق به وبجوانب من حياتنا الفنية .

● قلت للأديب الفنان سعد مكاوى .

سؤال يحيرنى منذ أمد طويل . لا أحد ينكر قيمة ما قدمه سعد مكاوى من عطاء يتسم بالمعمار الفنى المقتدر والإنسانية الدافقة والنفاذ داخل أغوار النفس البشرية بكل ما تنطوى عليه من معالم وبجاهل . ولقد كنت بحق - أقولها صادقاً مع نفسى وبضمير قارىء متابع يشارك فى الحياة الأدبية - كنت مذاقاً له خصوصيته المنفردة فى أدبنا . . فلماذا لم تأخذ أعمالك من الاهتمام النقدي ما يعادل تقدير المثلى لها ؟

- سؤالك كان المفروض فيه أن يوجه للنقاد أصلاً . . ولكن كل ما فى الأمر أن الحركة الأدبية عندما وقعت تحت سيطرة اتجاهات نقدية انطلقت من موقع الشلية العنيفة وافتقدت الرحابة الواسعة فى نظرتها إلى خريطة الحياة الأدبية . . ووجدت هذه النظرة أن من مصلحتها توافقاً مع أهدافها أن تركز على أسماء بذاتها وأن تتجاهل غيرها . . بجانب عامل آخر صاحب عدم انتهاى إلى شلة معينة ، هو عدم انتهاى أيضاً إلى مدرسة فنية محددة . فقد لازمنى على الدوام اعتقاد بأن الفن صيرورة دائمة . وإمكانات متجددة من الخطر حبسها داخل أسوار تقنين مدرسة ما .

● هذا التجاهل من النقد . . ألم يضايقتك . . أما شعرت من جرائه بمرارة ؟

- أغالط نفسى لو زعمت بأن هذا لم يضايقتنى . . كل ما فى الأمر أننى تخلصت من هذا الإحساس ولم أدع له سيطرة على . . لم أضع فى اعتبارى غير أن أوصل مسيرتى . . فلا يمكن لأى حركة نقدية أو منحرفة أو مغرضة أو منغلقة أو متعصبة أن

توقف عملية الإبداع عند أى فنان حقيقى . . إن مسألة النقد لم تعد تهمنى إطلاقاً . .
مهمتى هى فى . . وما بعد ذلك فهو مسألة لا تخصنى !
● ظاهرة ملحوظة . . ابتعادك عن تجمعات الحياة الأدبية وحتى عن منتدياتها . .
أيرجع هذا إلى موقف من جانبك لما يحدث فيها من صراعات . . أو الأمر مجرد طبيعة
خاصة فيك . . الانعزالية إن سمحت لى ؟

- بجانب طبيعتى الخاصة العازفة عن صخب التجمعات . هناك إيمانى بأن من
الأفضل للكاتب أن يواقع الحياة نفسها ليستمد أصول إنتاجه الأدبى . هذا أفضل من
أن يكون واسطة عقد منتدى أدبى أو فى تجمعات تقوم على ثروة غير مفيدة وصراعات
غير مجدية لا للكاتب ولا للحركة الأدبية . . الأهم هو الحياة نفسها . . الناس .
الواقع . . العصر . . بقضاياهم وهمومهم خلال المسيرة الإنسانية الباحثة عما هو أفضل
وأجدى للحياة واستمرارها .

● لكل فنان رؤية معينة تقف خلف إنتاجه حتى وإن توارت خلف البناء الفنى
المقتدر بدون أن تكون مباشرة بالضرورة . . بالنسبة لك ما هى الرؤية التى يمكن أن
تكون مفتاحاً لأعمالك ؟

- باختصار . . وفى كلمة واحدة . . الإنسان هو موضوعى . . المسيرة البشرية هى
الحقيقة الأولى والأخيرة التى تنبع منها رؤية كل فنان . . والأدب الحى فى أى عصر وفى
كل أمة هو الأدب الذى يفعل بالإنسان وبالحمية التى تصاحب البشرية وهى تبحث
عن المستقبل الأفضل . . ومن هنا تنبع رؤيتى بدون الدخول فى تفاصيل تحديد قسما
لا أحب أن تطل النظرة إلى أعمالى من خلالها !
● لن أسألك تحديد معالم هذه الرؤية ، فالعمل الفنى هو إمكانياته الداخلية

الموحية . ولكن ما هى الأعمال التى تبلورت فيها هذه الرؤية فنياً أكثر من غيرها من أعمالك ؟

- لا أستطيع أن أفضل أى عمل من أعمالى عما تحدثت عنه فى الإجابة السابقة . ولكن ربما تكون رواية « السائرون نيماً » وكذلك « الرجل والطريق » قد تمكنا من تكثيف هذه الرؤية . بإمكانيات فنية أكثر قدرة على توصيل رؤيتى .

● فى كتابتك تمجيد للإنسان وحنو عليه ، وحلم بإنسان أفضل . يحقق المعنى الحقيقى لكلمة إنسان . هل مازلت تؤمن بإمكانيات وجود هذا الإنسان برغم ما يبدو على عصرنا من نزوع إلى الشر والقسوة والأنانية . . حتى أن قسما الإنسان بالمعنى البسيط توشك أن تتداعى تحت ضغط ظواهر العصر المادية كما تزعم نظرة متشائمة فى الغرب الأوربى ؟

- فى قلب عصرنا . . عصر التمزق والانسحاق . . والحيرة لا يزال إيمانى بغد إنسانى جميل غص بل إن الواقع المرير الذى يكابده الجنس البشرى فى عنق الزجاجة لم يؤثر فى إيمانى بأن إنسان العصر القادم سيكون أبهى وأعظم وأجمل من المسودات البشرية إن جاز هذا التعبير . . وإذا اعتبرنا القرن العشرين معمل تفريخ لطبقات جديدة راقية من الإنسان فى موقن تماماً بأن إنسان القرن الحادى والعشرين وما بعده سيكون على الصورة التى استشرفها ؟

● أعرف فرط شغفك بالموسيقى . . لدرجة أن العبارة عندك تأتينا مكثفة تحمل إيقاعاً موسيقياً فى تكوينها . ما هو تأثير الموسيقى فى أدبك ؟

- تعرفت إلى الموسيقى الرفيعة فى صدر شبابى عندما التحقت بعد الدراسة الثانوية بجامعة السربون فى باريس . . كانت نقلة رهيبة من ميوعة تأوهات الغناء الشرقى ومن المعانى الفجة فى الكلمة واللحن عندنا إلى الموسيقى الحقيقية التابعة من كيان الإنسان

ولغة الطبيعة وإيقاع الحياة . . وكان يتوفاً بالذات له تأثيره الفعال فى نفسيتى . . وفى إحساسى بجمال اللغة الموسيقية وفى تكوين رأى خاص عندى مؤداه أن الجملة الأدبية أيضاً يسعها إلى حد كبير أن تصنع موسيقيتها الخاصة . . وأن تزيدها الموسيقية قدرة على النفاذ إلى المتلقى وتدعيم العلاقة الحميمة بين الكاتب والقارئ ! !

● برغم عالمية اللغة الموسيقية . هل يمكننا أن نقول إن لنا موسيقى تحمل ملامح شخصيتنا العربية ؟

- لا يا صديق . . أقولها بملء فى ! !

● أغلب كتاب جيلك وجدت أعمالهم القصصية طريقها إلى السينما فلماذا قرعت السينما بابك متأخرة . . ليس غير شهيرة ؟

- منذ عشر سنوات تعاقدت معى هيئة السينما على إنتاج رواية « السائرون نياماً . وقبضت الثمن فعلاً . . ثم عدلت هيئة السينما عن الإنتاج الكبير اكتفاء بتمويل أفلام صغار المنتجين . . ونامت الرواية فى أدراج هيئة السينما مع غيرها . . ولا أمل فى إنتاج القصة إلا إذا عادت هيئة السينما إلى المنهج السليم للإنتاج . وهو أن تقوم الدولة فعلاً بإنتاج الأعمال الضخمة التى يحجم القطاع الخاص عن اقتحام ميدانها .

ولعل السبب فى أن السينما لم تفرح أبى كما تقول إن لى هنا طريقة لا تعجب المنتجين فى ، هى التدقيق فى الصورة التى يظهر بها الفيلم أكثر من حرصى على المبلغ الذى يدخل جيبى برغم حجبى للنقود مثل كل الناس . . ولكن حجبى للنقود لا يكون له الاعتبار الأول قبل القيم الفنية . ودعنى أذكرك أن لى قصة أنتجتها السينما منذ عشر سنوات وعرضت فيلماً هو (أبواب الليل) !

● « شهيرة » الفيلم المأخوذ عن قصتك - بعيداً عما أثير بشأنها قضائياً عن طريق

الدعوى التى رفعتها السيدة فاطمة رشدى ضدك هل استقيت مادتها من نموذج حقيقى فى حياتنا الفنية ؟

- ما قصدته برواية شهيرة نابع فى الحقيقة من فترة فى شبابه عشقت فيها شارع عماد الدين الذى كان فى الثلاثينيات بموج بالنشاطات الفنية والمسرحية . . ومن هذا العالم خرجت شخصيات وأحداث « شهيرة » دون تعمد لتصوير شخصية معينة . كل ما فى الأمر هو الجو وهو التاريخ وعطر تلك الفترة العجيبة التى كانت فيها القاهرة تشغى بنشاطات متعددة ومتنوعة . . إن يكن المسرح أبرزها فقد كان حتى للكباريه طعم ومذاق ولا وجود لها الآن ! !

الكتابة للمسرح . . هل لك تجربة فيها ؟

- لم أكتب طيلة حياتى غير مسرحية واحدة هى (الميت والحى) والتى سيرعرضها المسرح القومى هذا الشهر ويقوم بتمثيلها حمدى غيث وأمنية رزق وعبد الرحيم الزرقانى وعبد المنعم إبراهيم وسعيد خليل وغيرهم !
● ما الذى تريد أن تقوله فى هذه المسرحية . . ولماذا اخترت المسرح دون شكلك الروائى المعتاد ؟

- الذى فرض الشكل المسرحى فى موضوع (الميت والحى) هو مضمونها . . فعندما تبلورت الفكرة عندى اتضح لى عند اكتمالها أن الشكل المسرحى هو أنسب الأشكال لتوصيلها . . فقررت أن يكون العمل مسرحية لا رواية . . وبدون المسألة كبرت فى دماغى فوجدتني أعكف على كتابة مسرحية جديدة هى « المهدي المنتظر » أما عن الذى تريد أن تقوله مسرحية « الميت والحى » فإنها تناقش قضية بالغة الخطورة بالنسبة لعصرنا .

« العلم لمن . . هو لخدمة الإنسان وتطوير واقعه وإسعاده . . أو هو لاستغلاله ضد

سعادة الإنسان ومصلحه الكبرى . . تلك هى قضية هذه المسرحية . .

● مفهوم الالتزام عندك هل يختلف عن مفهوم الالتزام الذى دعا إليه النقاد فى الخمسينيات وبعض كتابها أيضا ؟

- التزامى كما هو وكما حدثتك عنه تابع من إيمانى الإنسانى . . أنا ملتزم بالقضية الإنسانية فى عمومها وشمولها . . وشعارى فى هذا أننى مع الحقيقة ضد الزيف . مع الحرية ضد الاستبداد . مع الشجاعة ضد الخوف . مع الإرادة ضد القهر . مع الجلال ضد القبح مع الحب ضد الكراهية . . التزامى فى كلمة واحدة هو مستقبل الإنسان وقدراته المتجددة التى لا يمكن لأى أيديولوجية معاصرة أن تحتويها ، فن الذى يعطينا الحق فى أن نصادر المستقبل ونحجر على إمكاناته وما تنطوى عليه صبرورته من قابليات .

● قبل أن يبدأ الفنان تجربته مع الخلق تكون هناك بجانب الموهبة الخاصة مؤثرات كونه ودفعت خطواته نحو هذا الاتجاه . . ما هى هذه المؤثرات عندك . . ولن تدين من الكتاب فى بلورة حسك الفنى ؟

- فى صباى عثرت فى مكتبة والدى بالريف على عالم سحرى عجيب يحوى أفكار التراث وأحداث التاريخ . . التهمت هذه المكتبة برغم أن بعضها كان أكبر من إدراكى ومنسوب ثقافتى فى تلك المرحلة . . ولهذا المكتبة أنا أدين بتحديد خطواتى فى الاتجاه إلى التعبير أدباً . . ثم انفتحت لى بسفرى إلى فرنسا فى سن مبكرة أبواب الأدب الفرنسى أساساً ثم الأدب الإنجليزى والألمانى المترجم إلى الفرنسية ، وتمازجت مكتسباتى الجديدة بثقافتى العربية فى تكوين شخصيتى الفنية بجانب هذا كان الكون الكبير العجيب يسهم فى تكوينى . . وحتى فى مطالعاتى لا أقصر اهتمامى على الجوانب الأدبية والفنية فحسب . . أنا أدمن أيضاً القراءة فى العلوم بشتى أنواعها . . خاصة ما

يتعلق بعالم النبات والحيوان . . لقد قرأت ثمانية كتب عن عالم الفراشات وحده . . هل تتصور . . هناك في عالمنا ستة عشر ألفاً وخمسمائة نوع من الفراشات . . تتفاوت في الأحجام والألوان والطباع أما عن الذين أدين لهم من الكتاب . . فأنا لا أذكر أحداً بعينه ترك بصمات في . . لقد قرأت كثيراً . . وتحولت القراءة إلى دم في شرايين وجداني ولكنى لا أستطيع تحديد فصائل هذا الدم لأردها إلى كتاب بعينهم ! !
● بعيداً عن موقعك الرسمي كمسئول عن المسرح الآن . . مسرحنا ما هو الآن وضعه ؟

- لعل ما يحدث في المسرح الآن من محاولات ينبيء بمرحلة جديدة للمسرح المصرى تتوفر له فيها القدرة على أداء رسالته الحقيقية . . وأظن أن بدايات الموسم الحالى تبشر بذلك ! !

● طيب . . أنت من خلال تجربتك الرسمية كمشرف على قطاع المسرح . . ما الذى تراه كفيلاً بدفع انطلاقة المسرح في بلادنا نحو آفاق أرحب ؟
- فى اعتقادى أن مشروع البيوت المستقلة الذى يجتاز الآن آخر مراحله فى مجلس الوزراء . . والذى ينطوى على اتجاه استقلال كل بيت مسرحى فى شؤونه الفنية والإدارية والمالية بعيداً عن تدخلات المركزية وتعقيدها . . إن المركزية الآن تفسح المجال لاستقلالية كل بيت على حدة . . وأنا متفائل بهذا المشروع وأعتبره الخطوة السليمة فى الاتجاه الصحيح . . وأتوقع لهذا المشروع نتائج محمودة تدفع الحركة المسرحية فى بلادنا نحو ما ينبغى أن يكون عليه المسرح .

يناير سنة ١٩٧٦ .

دكتور/ محمد الظواهرى

العلم يؤكد بان عصر الإيمان المطلق قادم !

الدكتور محمد الظواهرى أستاذ طب الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة خرجت شهرته العلمية للعالم شرقاً وغرباً ، فأبحاثه ومؤلفاته فى الأمراض الجلدية تدرس فى كثير من جامعات القارات الخمس . . إن إضافته العلمية وأبحاثه الطبية المتعددة واكتشافاته المتواصلة تشكل أوسمة فخر لمصر ، وهى فى نفس الوقت تأكيد للعبقريّة العربية التى غابت طويلاً عن التأثير فى مسيرة الحضارة الإنسانية والعلوم .

● قلت للدكتور الظواهرى :

ظاهرة التزاحم على عيادات مشاهير الأطباء . . كيف يمكن أن نجد حلولاً لما يترتب عليها من حرمان حالات مرضية عاجلة من كفاية هؤلاء الأطباء بالسرعة الناجزة ؟

- ظاهرة التزاحم لها دوافعها . فالمرء العذب كثير الزحام . ثم إن رضاء الخلق من

رضاء الخالق . إن سبب هذا التراحم مرجعه أن هؤلاء الأطباء يؤدون عملهم بأمانة وإخلاص ، واتفق كل منهم ربه بمخافة وإيمان فاطمأن الناس إليهم . . والحل لهذا التراحم هو أنني أدعو كل من آتاه الله الحكمة ومكنه من خدمة المرضى أن يضاعف مجهوده ولا يتوانى عن رعاية مرضاه الذين هرعوا إليه دون غيره وأن يلقاهم بالصدر الرحب والابتسامة الحانية التى تبعث فيهم الأمل . ما دام الله قد أعطاه الصحة وقدرة الاحتمال .

● هناك حالات لا تشكل خطورة ، ويكفى لعلاجها أى طبيب متخصص ، ولكن لأن أصحابها من ذوى الدخول القادرة يبادرون إلى المشاهير . بما ينتهب وقتهم . لماذا لا تضم عيادات هؤلاء بعض الأطباء المساعدين للكشف المبدي ؟
- لعلك لا تنكر أن العامل النفسى يساعد كثيراً في سرعة الشفاء . وثقة المريض في طبيب معين لها تأثيرها في تنشيط هذا العامل . وأحب أن أقول بأن هناك أمراضاً تبدو بسيطة . ولكنها كثيراً ما تكون علامات لمرض خطير أو خبيث . وأضرب بعض الأمثلة في ذلك الأمراض الجلدية . فالإرتيكاريا مثلاً هي عرض لحالات كثيرة ومتعددة ، قد تكون تافهة مثل تناول بعض الأطعمة . وربما تكون إشارة إلى أمراض داخلية هامة ، وقد يكون من بينها بعض الأمراض الخبيثة . . وخذ أيضاً الحكمة الجلدية ، إنها هي الأخرى ترجع إلى مسببات منها البسيط مثل جفاف الجلد وتقدم السن . ومنها الخطير مثل مرض البول السكرى وأمراض الكلى والكبد والمرارة واليرقان وأمراض الدم . . إلخ . .

وهناك الكثير من الأمراض الجلدية التى قد تخفى وراءها الأورام السرطانية الكامنة بالجسم داخلياً . . وكل هذا يمكن للطبيب الخبير المختص أن يكشفها مبكراً يعالجها قبل استفحال الخطر .

أما أن تضم عيادات كبار الأطباء بعض المساعدين فهذا مالا أوافق عليه . .
فالمريض قد جاء خصيصاً وتكبد مشقة الانتقال من بلدته وربما من دولة أخرى وهو
يقصد طبيباً معيناً فإذا فرض عليه طبيب آخر فإن هذا يؤلم نفسه . . وكما قلت فإن الحالة
النفسية للمريض والثقة في طبيبه لها الأثر الكبير في سرعة الشفاء . وإيماناً مني بهذا فإنني
عندما أسافر لحضور الاجتماعات العلمية والمؤتمرات الطبية أغلق عيادتي ولا أنيب أحداً
عني . . حتى لا أفرض على المريض طبيباً من قبلي . . وأترك له الحرية في اختيار
الطبيب الذي يريده . . وأحب أن أنوه بالنسبة لى بأن غالبية المرضى الذين يتوجهون
لعيادتي يفدون إليها من قبل أطباء آخرين من أماكن بعضها بعيد المسافة والبعض منهم
من خارج مصر . . وذلك للمشاركة في الرأي . وخاصة بعض الحالات الهامة .
● إن من حق الطبيب البارع الناجح أن ينال جزاء كفايته . . ولكن هناك الفقراء
أصحاب الحالات البالغة الخطورة . وهم لا يملكون الاقتدار المادى . أليس من حقهم
الاستفادة بكفاءة الكبار ؟ !

— لا أحد ينكر أن إخواننا الفقراء من المرضى لهم حق واجب علينا . . وأعتقد أنه
لا يمكن أن يوجد طبيب يقدر شرف مهنته برفض علاج مريض لفقره . . إنه يقوم
بفحصه في عيادته الخاصة إن سمحت ظروف الوقت . أو في المستشفى الذى يعمل به .
وجميع من يقوم بفحصهم الطبيب في المستشفيات العامة والجامعية ، فهذا يتم كما
يعرف الجميع — بدون مقابل . . وأنا أقوم بهذا العمل الإنسانى منذ عام ١٩٤٢ وحتى
الآن بعيادة الأمراض الجلدية بقصر العيني بقسم الجلد دون انقطاع . أفعل هذا بمنتهى
الرضا والسعادة النفسية البالغة . . إن الساعات الطويلة التى أنفقها في هذا العمل على
مدى أيام الأسبوع هى أهم مصادر السعادة لنفسى . . فهؤلاء الفقراء ضيوفنا
وضيوف الله عز وجل .

● لك مدرسة فى الأمراض الجلدية معترف بها عالمياً . ما هى خصائص تلك المدرسة ؟ !

— من توفيق الله . وما يشرفنى أن مدرستى فى الأمراض الجلدية تضم غالبية الزملاء من أخصائى الأمراض الجلدية فى مصر والبلاد العربية . . بل هناك فى دول أخرى من يتنمون إلى هذه المدرسة من الذين تشرفت بلقائهم والعمل معهم على مدى ثلث قرن فى رحاب العلم . وهم الآن يبلغون العشرات بل قل المئات بلا مبالغة . . . وهم أخصائيون يشار إليهم بالبنان . . والكثيرون منهم درسوا الكتب التى وضعها لطلاب الدراسات العليا وكلية الطب . وكذلك أبحاثى التى نشرتها وهى بجانب كبرى الخمسة تربو على المائة والعشرين بحثاً . وأكثر ما أعتز به عشرة بحوث كاملة ألفت ونشرت فى مؤتمر الأمراض الجلدية العالمى الذى عقد مؤخراً . . وهى تمثل أكبر عدد من البحوث تنشر لعالم واحد فى مؤتمر واحد . . وكلها بحوث جديدة تضمنت إضافات علمية هامة . . وقد ترجمتها فى كتيب صغير الحجم فرح به كل أستاذ أرسلته إليه فى مصر وخارجها . . إننى دائم التوجيه لطلابى بأن دراسة الأمراض الجلدية لا يمكن أن تكون نظرية بحتة . بل لابد من مواجهة المرض على الطبيعة وفحص خصائصه قبل تلقى نظرياته . . إن المحاضرة فى أمراض الجلد يتحتم أن تكون أكاديمية قبل كل شئ . . ولهذا لابد من متابعة حالات الأمراض الجلدية وخاصة الصعبة التشخيص والعلاج . . هذه المتابعة والمثابرة والثرى تؤدى إلى أفضل النتائج ، إن التشخيص المتسرع للمرض دون روية يكون مجلبة للحسرة والضرر .

مدرستى أيضاً تؤكد بأن العلم ليس له حدود ، وآفة العلم أن نكتفى بما حصلنا عليه بغير أن نواصل الاطلاع والبحث . . نحن طلاب دائماً مهما كبرت مراكزنا . . أو تقدمت بنا الأعمار !

● هل تختلف الأمراض الجلدية في المناطق الحارة عنها في المناطق الباردة ؟ !

- بالطبع هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالمناطق الحارة . . وأيضاً هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالمناطق الباردة . والمشارك بينهما كثير جداً أيضاً . . إن في بلادنا العربية ثلاثة أنواع من الأمراض الجلدية .

الأول : تنفرد به بلادنا العربية مثل بلهارسيا الجلد . والقرحة الشرقية « حبة بغداد

ودمل حلب » ودودة المدينة وداء الفيل العربى . وكثير غير ذلك .

الثاني : أمراض جلدية توجد في شتى أنحاء العالم ولكنها في بلادنا العربية تظهر وبها بعض الاختلافات قلت أو كثرت مثل الاختلاف في الصورة الإكلينيكية أو في التوزيع على سطح الجلد . وقد أشرت في كثير من أبحاثي إلى هذه الفروق التي تعتبر هامة سواء في التشخيص أو العلاج ، وأضرب لك بعض الأمثلة : مرض الجذام منتشر إلى حد كبير بيننا ويقال في بعض المراجع إن ظهوره أولاً في وادى النيل وخاصة منطقة « دارفور » ثم صعد إلى شمال أفريقيا مع مجرى النيل وانتقل إلى آسيا عبر البحر الأحمر . ثم إلى الهند والصين واليابان شمالاً . . ثم إلى آسيا الصغرى فأوروبا ، ولكنه حوَصر ، ويكاد يكون قد استؤصل في أوروبا . ولكنه لبث في الهند وبعض البلاد العربية بصورة مستوطنة . . ولقد أثبت وجود الجذام في أطفالنا بخلاف السائد في العالم . . وكذلك أميبيا الجلد . والصدفية والبقا على الأماكن المكشوفة . . وكثيراً ما يذكر أن الصدفية تكثر في الأماكن المغطاة . ولكني أثبت وجودها على الأماكن المكشوفة ، وكذلك أثبت وجودها بالأغشية المخاطية واللسان ، وفي هذه الناحية فإن الأبحاث التي قدمتها تعتبر من الأولى من نوعها تكاملاً . . فقد كان من المفروض أن الصدفية لا تصيب الأغشية المخاطية أو اللسان . . أما مرض البلاجرا فقد أظهرت خصائصه المميزة وصفته التشريحية الخاصة به .

الثالث : أمراض جلدية سائدة في البلاد العربية مثلها تماماً مثل بقية بلدان العالم ومناخاته وهذه تمثل الغالبية العظمى من أمراض الجلد .

● هل هناك أمراض جلدية تنتج من الوراثة وحدها . . وأخرى من طبيعة البيئة وحدها وظواهرها المناخية وفي حالة أمراض الوراثة هل تنتقل بالعدوى . . وما هي الوقاية في كل الأحوال ؟

- نعم هناك أمراض جلدية كثيرة تنتقل بالوراثة . ولا دخل للعدوى في انتقالها . وهذه الأمراض كثيراً ما تظهر ، وقد لوحظت الإصابة في ستة أجيال متعاقبة من عائلة واحدة وأيضاً مرض جفاف البشرة الملون كثيراً ما يلاحظ عند تزواج الأقارب . . وتلعب الوراثة دوراً هاماً فيما يسمى بالوحمات وما يقال له « الحسنة » وكذلك تحليل البشرة الفقاعى . . وأيضاً تضخم البشرة براحة اليد وبطن القدم . . والجلد المطاط ، وهناك أمراض تنتج من البيئة وظواهرها المناخية . . وهى كثيرة جداً . . وكثيراً ما يتحدث الأطباء في المؤتمرات الدولية عن التوزيع الجغرافى للأمراض . . مثل مؤتمر طب المناطق الحارة الدولية الذى عقد في كيوتو باليابان واشتركت فيه ، وكان من أهم المواضيع التى ناقشها المؤتمر . . أن الشمس الوفيرة والتعرض للشمس من أهم المسببات لكثير من أمراض الجلد في المناطق الحارة . . والبلدان العربية بالذات . . وفى تجنبها منجاة من كثير من أمراض الجلد .

● ما هو السرفى أن الرجال وحدهم هم الذين يصابون بالصلع دون النساء ؟
- الصلع يصيب الرجال بصفة كاملة . . أما النساء فقد نلاحظ قلة الشعر بصفة واضحة ولكننا لا نجد صلعاً كاملاً . . وهذا يرجع إلى تأثير هرمونات الجنس . . فمن المعترف به علمياً أن إفراز هرمون الذكور يزيد من نشاط الغدد الدهنية ويدعو لظهور حب الشباب وتساقط الشعر كاملاً عند الذكور في المنطقة الأمامية من الرأس وقتها . .

أما الإناث فإن هرمون الجنس عند الأنثى «ايستروجين» من شأنه أن يضاد ذلك التأثير على الشعر وحب الشباب والغدد الدهنية . ويمكن الاستفادة من ذلك علمياً بإعطاء هذا النوع من المرض . . وخاصة المصاين بحب الشباب عند الجنسين هرمون الأنثى «الايستروجين» مع الملاحظة الدقيقة لتأثير ذلك الهرمون على الذكور . خوفاً من ظهور مضاعفات علاجية !! !

● هل يمكن أن تقدم لنا نباتات البيئة وأعشابها ما يصلح كدواء لبعض الأمراض الجلدية عندنا . وما هى القيمة العلمية لنبات الصبار الذى اكتشفتم فائدته لبعض الأمراض الجلدية ؟

- قدمت لنا نباتات البيئة وأعشابها أدوية لكثير من الأمراض العامة والأمراض الجلدية بصفة خاصة ، ولقد قت بإظهار ما لنبات الصبار من فوائد علاجية . وقد تمت الأبحاث العلمية الخاصة بذلك بنجاح كبير ، وأمكن استخلاص عصارات المواد الفعالة فى شكل أدوية حديثة قدمتها مصر للعالم . . لقد قت بإضافة مادة (الباثينول) إلى مادة الصبار . وبذلك اكتشفت علاجاً جديداً وفعالاً يسمى (الوبانتين) وهو فى اعتقادى أفضل ما يمكن تقديمه لعلاج أمراض فروة الرأس وقشورها وتساقط الشعر بطريقة علمية سليمة ليس لها أى مضاعفات ، وهذا أقل ما يمكن تقديمه لهذا الوطن الحبيب الذى رعانا وأنبطنا نباتاً حسناً .

والمناسبة أحب أن أقول إنه بمراجعتى للتراث القديم وجدت أن شجر الجميز «فيكس سيكامورس» وهو شجر مصرى قديم كان مقدساً عند قدماء المصريين . ولقد وجدت سلال من فاكهته يجوار جثث الموتى . كانوا يصنعون توابيتهم من أخشابه ويعالجون بعصارته بعض الأمراض الجلدية الباطنية . وكذلك الحروق والجروح الجلدية .

وعندما كنت صغيراً كان أهلى فى قريتى يعالجون بعصير الجميز بعض أمراض الجلد بنجاح ، ومن هنا بدأت البحث فى هذا المضمار وانتهيت إلى نتائج هامة فى شفاء بعض الأمراض الجلدية مثل « العطشة » و « القوباء » وأنواع من التهابات الجلد . كما تأكد لى تأثيره فى علاج مرض التهاب بصيلات الشعر بذقون الرجال وتخفيف حدة مرض الصدفية . وأكزىما الأطفال . . وهناك ما يبشر باستعمالات أخرى كثيرة لهذا الدواء . . وقد ألفت بحثاً عن ذلك فى مؤتمر النباتات الطبية الأفريقية وكذلك مؤتمر الصيدلة للذين عقدوا فى العام الماضى . . والأبحاث مازالت جارية لزيادة الفائدة من هذا النبات .

● هناك دعوات تنطلق . . ومؤتمرات تعقد من أجل تعريب العلوم فى جامعاتنا العربية . . أين تقف من هذه القضية ؟

- بكل مشاعرى ، وكما أتمنى لأمتنا العربية أن تبلغ المكانة اللائقة بها فى هذا العصر . . أتمنى كذلك للغتنا العربية ، لغة الضاد ، كل أعجاف وانتشار ، فهى لغة القرآن الكريم ، ذلك الدستور السماوى الأعظم الذى نزل هدى ورحمة للعالمين . ولكن هذا الوقت الذى تكون فيه مكتبتنا العربية الطبية قد لحقت بركب الحضارة والتقدم العالمى الحديث لم يجرىء بعد أما قبل هذا افلا بد من الإبقاء على تدريس الطب باللغة الإنجليزية يمكننا أن نأخذ من المصادر العالمية أفضل ما عندها . . وحتى يقرأ لنا الأجانب أبحاثنا وكتبنا لأنهم بذلك يفهمون ويعترفون بنا . . وأعتقد أن فى تبليغ رسالتنا العلمية إلى هذه المجالات كل الخير لوطننا وأمتنا العربية المجيدة . . ولولا أننا نخاطبهم بلغتهم لما شاركناهم أو شاركونا فى ندواتهم وندواتنا ومؤتمراتهم ومؤتمراتنا . وحلقات التعليم والعلم التى تعقد فى كل مكان .

وليس معنى هذا أن يظل الوضع هكذا إلى الأبد . ولكن عندما يصبح علماؤنا فى

شتى فروع العلم والطب قادرين على أن تكون لهم المكتبة العربية الكاملة . مع ترجمة ملخصات باللغة الأجنبية لمؤلفاتهم وأبحاثهم . فى هذا الوقت ستجدنى من غلاة الداعين إلى تعريب العلوم . . وهذا أمل لكل عربى مخلص لوطنه ولكن الحقيقة أن الوقت لم يحن بعد ! !

● أصبحنا عالة على الإنسانية نأخذ من العلم نتائجه الجاهزة بدون أن نضيف إلى منسوبه شيئاً . . الآن هل نعتقد أننا وصلنا إلى مرحلة الإسهام ؟ !

- الواقع أن العرب أسهموا بدور بالغ الأهمية فى أصول الحضارة والعلم . كما لا أحب الإطالة فى الحديث عن الحضارة المصرية القديمة منذ آلاف السنين والتخلف الذى أصاب أمتنا نتيجة عوامل كثيرة أهمها الاحتلال المتعاقب مما أدى إلى تخلفنا فى الماضى . . ولكنى أرى الآن أن الصبح قد لآح فجره « وأن أمتنا العربية أخذت تصحو من رقادها وأن الجهود الفردية التى يقوم بها علماءنا فى الداخل وفى الخارج سوف تصبح بإذن الله جهوداً مكثفة تشيع مناخاً علمياً كاملاً ، ولقد بدأ العالم يقدم التقدير لجهودنا العلمية ، وأنا أذكر بعض جوانب هذا التقدير من خلال مشاركتى فى بعض المؤتمرات العلمية الدولية .

فعندما كنت أحضر اجتماع الأكاديمية الأمريكية المنعقد فى ميامى بيتش والذى قدمت فيه بحثى عن الحزاز الاستوائى وقف رئيس الاجتماع الدكتور ويزر ليقول : (أقدم لكم أستاذاً مصرياً أعرفه وأعرف وطنه ومدرسته ووزنه فى وطنه وقد حضر إلينا ليعرفنا بشئ جديد) وهنا وقف الأعضاء جميعاً يصفقون ، ولم يكن التصفيق لشخص بل لوطنى العملاق . وكنت مجرد سفير علمى له ليس إلا . . وفى اجتماع آخر فى الأكاديمية الأمريكية بواشنطن خلال شهر رمضان ، وكنت صائماً ، كنت أقف فى معرض الطبى العلمى الذى أفتته ضمن معارض الأكاديمية فى ال « بالمرهاوس » وكان موضوع

المعرض ولوحاته عن الالتهابات الجلدية السائدة في الشرق الأوسط ، وبينما كنت أقوم بشرح اللوحات وتوزيع النشرات على رواد معرضي لاحظ أحد الأساتذة الأمريكيان فيشر «مدى الإعياء الذى لحق بى لأننى لم أكن قد أفطرت برغم حلول موعد الإفطار . نظراً لازدحام المعرض بالزوار ، والمجهود الذى بذلته طوال اليوم فى قاعات المحاضرات والمناقشات العلمية . . فاقترب الأستاذ منى يقول لى بالحرف الواحد «لماذا تفعل كل هذا ؟ قلت من أجل العلم ووطنى» فرد على بقوله : «أنت خير سفير لأمتك» . . وقد أرسل هذا الأستاذ بدون علمى خطاباً بهذا لوزارة التعليم العالى عندنا . . ولم أعرف خبره إلا بعد أن حولته الوزارة إلى . . كان ذلك منذ حوالى ثمانية أعوام .

وأذكر بالفخر زيارتى لأستراليا فى أبريل سنة ١٩٦٧ لحضور افتتاح كلية الدراسات العليا لأمراض الجلد فى سيدنى . فقد أقيمت محاضرات الافتتاح . وكنت أحد سبعة علماء يمثلون العالم . وكنت أول طبيب عربى يحاضر فى إستراليا . . وخصنى رئيس الاجتماع بالتكريم وهو يقدمنى بقوله إن من أول تعاليم أمراض الجلد هى التعاليم المصرية . وأن «هير» صاحب التعاليم المصرية هو أول رواد أمراض الجلد القدامى فى العالم .

ولقد زرت الهند مرات عديدة وألقيت أبحاثى فى كلكتا ونيودلهى ومبائى . . وأعلنت فى النزويج عن وجود الجذام . . واقتنت السويد مجموعة كتبى لمكتبة كلية الطب بها . . وآخر تكريم نال العلم العربى فى شخصى هو انتخابى عضواً فى إدارة جمعية الأمراض الجلدية الدولية فى اجتماعها الأخير بمناسبة المؤتمر الدولى الذى عقد فى سان باولو بالبرازيل والذى أسهمت فيه بأبحاثى ، وعقدت لى رئاسة واحدة من جلساته . . ومن هناك ذهبت إلى الأرجنتين حيث أقيمت فى مؤتمر الجذام الدولى هناك بحثاً علمياً اعتبرته هيئة المؤتمر جديراً بتعيينى عضواً ممثلاً لها ومراسلاً للشرق الأوسط ،

وأرسلت إلى براءة ذلك في صورة شهادة تقدير أعتر بها بجانب الشهادات الدولية الأخرى . . ففي عام ١٩٧٥ وصلتني ثلاث براءات شرفية بهذا المعنى من البرازيل والأرجنتين وبولندا . .

ما أردت بهذا أن أتحدث إليك عن شخصي ، وإنما استهدفت أن أضرب لك مثلاً عن مدى المكانة التي وصل إليها العلم العربي وأنه أصبح يملك العطاء والإضافة . . وأنه لم يعد عالة على غيره ، بل أصبح له إسهامه المعترف به عالمياً . وقد استشهدت في هذا الصدد بالجمال الذي يخصني .

● لقد تذرع الإلحاد طويلاً بمنطق العلم في محاولته لهدم أسس الإيمان . . هل جاء الوقت الذي أصبحت فيه إمكانيات العلم تدحض مسوغات الإلحاد ؟

- سؤالك هذا هز مشاعري . . إنني أعتبره إبداعاً ليس في اللغة فحسب بل في المعنى أيضاً ، نعم يا سيدي جاء الوقت ، وسيجيء بشكل أوضح ، ذلك الوقت الذي تدحض فيه دولة العلم والإيمان دولة الجهل والإلحاد . وسيقوم ذلك أساساً على اكتشافات أبناء الأمة العربية . وبواسطتهم سيبين العلم أن الله هو الحقيقة الكبرى وأن كل الحقائق إليه مرجعها وأن الرجوع إليه هو الخلاص من كل ما يعانيه عالمنا من شر . . إن حقائق العلم المعاصرة تثبت في كل جزئية من جزئياتها أن الأكوان من صنع إله عظيم قديم . . لقد أظهر العلم وسوف يظهر أن كل ما جاء في التعاليم الدينية والإنسانية هو لخير البشرية ، إن العلم الحديث يفسر لنا الآن غوامض ما كان خافياً . . وعصر الإيمان المطلق قادم ولن تعود للإلحاد أى ذريعة .

إن شعار دولة العلم والإيمان الذي أطلقه رئيسنا المؤمن محمد أنور السادات لم يأت عفواً ، فهو في الحقيقة تعبير عن وعي شامل نفذ إلى الحقيقة .

يناير سنة ١٩٧٦ .

أحمد كامل مرسى

الفن الذى لا يدافع عن كرامة الإنسان . . لا يكون فناً !

المخرج المصرى أحمد كامل مرسى واحد من الرواد الذين تدين لهم قافلة السينما المصرية بمحطات هامة فى فىافى طريق طويل . . على مداه تناثرت قطرات عرقهم وكفاحهم ومعاناة جهودهم وخبراتهم . . هو واحد من الذين عشقوا هذا الفن وأعطوه أعمارهم ونبضات قلوبهم وعبدوا الطريق ورصفوه لمسيرة ينتظرها الكثير لنتجزه .
إنه أحد أعلام جيل رائد انطلق بسفينة السينما المصرية وجدف لها بإيمان ومثابرة وهى تخوض عباب تجربة جديدة وسط عواطف وعرة . . لقد استطاع هذا الفنان مع جيله أن يبلغ بالسينما مرحلة ، لوواصلها من جاء بعد هذا الجيل بنفس الجدية والإيمان بالرسالة ، لكانت السينما المصرية قد حققت مالا يمكن تقدير مداه ومنسوبة .
وإيماناً بدور هذا الفنان الشيخ المترهب . وفكره المتجدد ذهبت إليه أحمل تساؤلات حول قضايا سينائية أطمح فى أن تقدم لنا إجابته عليها أضواء تنير معالم

الطريق من أجل مستقبل أفضل للسينما المصرية .

قلت لشيخ المخرجين أحمد كامل مرسى :

● السينما التسجيلية هل وصلت في رأيك إلى لغة فنية ، تمكنها من اكتساب قاعدة عريضة من الجماهير المشاهدة ، سواء في العالم المتطور أو في العالم النامي مثل الفيلم الروائي ؟

- نعم بطبيعة الحال - ولا عجب - فالسينما العالمية بدأت تسجيلية ، منذ نشأتها الأولى عام ١٨٩٥ ، ثم أخذت تنمو وتتطور على مر السنين ، وكان من أهم مظاهر نموها وتطورها ، ظهور الفيلم الروائي بكل نوعياته المتعددة والمختلفة ، في العقدين الأول والثاني من هذا القرن . . وحتى بعد أن ظهر الصوت واللون في الأفلام السينائية ، وذلك في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات فإن السينما التسجيلية كانت موجودة ، بل كانت ومازالت تخطو خطوات ثابتة ومتطورة ، واستطاعت أن تقف بثبات ونجاح ، جنباً إلى جنب مع السينما الروائية . وأنا لا نغالي في القول ، إذا اعترفنا بأن اللغة السينائية المتطورة في السينما التسجيلية ، كانت حافزاً قوياً لتطوير السينما الروائية . في كل أرجاء المعمورة . وقد بلغ من اهتمام الجماهير بهذه النوعية من الأفلام في البلاد المتحضرة أن تأسست دور عرض خاصة تقتصر عروضها على الأفلام التسجيلية والأفلام القصيرة ، بكافة نوعياتها المختلفة والمتعددة .

● مسيرتك مع السينما من أين بدأت ؟ وإلى أين وصلت ؟ وهل لديك أفكار أو مشروعات بالنسبة للمستقبل ؟

- بدأت علاقتي بالسينما ، كناقد فني في دار «روز اليوسف» منذ أوائل الثلاثينات . وفي عام ١٩٣٨ قدمت أول فيلم أجنبي ناطق بالعربية ، وهو فيلم «مستر ديدز يذهب إلى المدينة» وهو فيلم أمريكي من إخراج فرانك كابرا . ثم عقت عليه

بتعريب ودبلجة ، أى إنطاق الكثير من الأفلام الأجنبية سواء أكانت أمريكية أم إنجليزية أم فرنسية أم سوفيتية . . وكان آخر عمل فيلم «مصير إنسان» وهو فيلم سوفيتى من إخراج سيرجى بوندراتشوك . وفى هذه الفترة ساعدت فى إخراج أكثر من فيلم مصرى ، مع زميلى القديم نيازى مصطفى والأستاذين يوسف وهبى وتوجو مزراحى . ثم بدأت حياتى كمخرج بفيلم «العودة إلى الريف» فى نهاية عام ١٩٣٩ ، وتوقفت بعد فيلم «الميعاد» عام ١٩٥٤ ، وفى خلال هذه الفترة ، التى لا تعدو خمسة عشر عاماً ، أخرجت خمسة عشر فيلماً .

وفى العشرين السنة الأخيرة ، لم أقدم غير عدد قليل ومحدود للغاية من الأفلام الثقافية والفنية ، اعترافاً منى بقيمة وأهمية السينما التسجيلية وإحساسى بحاجتنا الملحة لمثل هذه النوعية من الأفلام فى حياتنا الجديدة . وأذكر من هذه الأفلام فيلم «القاهرة» لحساب التلفزيون عام ١٩٦١ ، وفيلم (تاريخ السينما المصرية) لحساب المؤسسة والوكالة العربية للسينما عام ١٩٧٠ ، كما راجعت بعض الكتب المترجمة ، والمتخصصة فى الفن السينمائى ، وأعتقد أن من أهمها كتاب «فن الفيلم» وكتاب (السينما التسجيلية) ترجمة صلاح التهامى ، وكتاب «التوليف السينمائى» ترجمة أحمد الحضرى .

أما من حيث الأفكار والمشروعات للمستقبل ، فهى كثيرة ومتعددة ، ولكن لا أمل فى عرضها أو مناقشتها . فكم من لجان تكونت وأوصت بعدة توصيات ، وقدمت عدة أفكار ودراسات ، ولكن للأسف الشديد ، لم يتحقق منها شئ . وهذه هى نكبة اللجان فى الشرق العربى ، كلام كثير جداً ، وجدل ونقاش طويلان بلا نهاية ، ومشروعات واقتراحات عديدة . . وعند التنفيذ أو التطبيق ، لا تجد شيئاً مطلقاً ، وإن وجدت شيئاً ، وجدته منقوصاً أو مشوهاً أو مخالفاً تماماً لما كانت الآمال معقودة عليه . . ولهذا ضقت ذرعاً بالاجتماعات والأقوال واللجان ، طوال هذه العشرين السنة

الأخيرة . . وإنى لأرجو من الأعماق أن تكون السنوات المقبلة ، أكثر خيراً ونفعاً وإيجابية ، من تلك السنوات المريرة ، وإنما هى همسة عتاب ، أتوجه بها إلى السينائيين والنقاد على حد سواء ، إخوانى وأصدقائى ، اجمعوا صفوفكم ، وطهروا قلوبكم ، وحكموا عقولكم وارعوا الحق والأمانة ، فيما تقدمون وفيما تنقدون من أفلام . حاولوا أن تجمعوا بين التقييم والتقويم ، بين الترفيه والتثقيف ، لكن دون عنف أو تجريح أو إهانة ، دون إسفاف أو هبوط أو تجارة ، دون انتهازية أو عصوية وانفعالية . . وثقوا أن الله مع الصادقين ، إذا صدقوا . .

● يقال إن السينما بدأت بداية طيبة ، لماذا فى اعتقادك لم تستطع أن تطور نفسها ، هذا إذا كنت توافق على وجهة نظر تدعى أنها مختلفة ؟
- السينما المصرية مظلومة ، مظلومة ممن مدحوها على طول الخط ، ومظلومة ممن هاجموها على طول الخط . السينما المصرية ظلموها وتنكروا لها ، تجنوا عليها بالحق والباطل ، سواء فى الماضى أو الحاضر . . أو من السينائيين الطامعين فى مكاسبها وأرباحها ، المشروعة وغير المشروعة . . أو من النقاد الناقدين لها والساحطين عليها ، المنكرين لوجودها إن حقاً أو ادعاءً أو غروراً .

الواقع أن السينما المصرية ، بدأت فعلاً بداية طيبة ، بداية بسيطة ومتواضعة ومخلصة ، يغمر الحب والوفاء والطموح والمنافسة الشريفة ، نفوس العاملين فى مجالها ، يفرحون لنجاح أى فيلم من الأفلام ، بقدر ما يحزنون لفشل أى فيلم آخر ، دون النظر إلى متجه أو مخرجه أو ممثليه ، كان الاجتهاد مبدأهم ، وكان التقدم غايةهم . يكتفون بالأرباح القليلة أو المعقولة ، ولا يطمعون فى الأرباح الضخمة الفاحشة التى تطيش بالنفوس والعقول ، وتدفعهم إلى المزيد ومزيد المزيد من الأرباح التى تجعلهم يقيمون العائز الشاهقة ، ويشترون السيارات الفارهة .

كان مفهوم السينما لدى السينائيين في بلادنا ، في ذلك الحين ، أنها رسالة وفن ، أو بمعنى أدق يغلب عليها طابع الرسالة والفن . ولا عجب فقد مرت السينما العالمية طوال حياتها التي بلغت الثمانين من عمرها هذا العام ، في صراع عنيف حاد بين تيارين أو اتجاهين ، الأول يؤمن بأنها فن ورسالة والثاني يؤمن بأنها صناعة وتجارة ، وكثيراً ما يلتقي التياران ، ويتم التوازن بين الاتجاهين ، وفي بعض الأحيان الأخرى يطغى تيار من التيارين على الآخر ، وعندئذ تنظر عليها حالات متوالية من التقدم والازدهار أو الهبوط والانحيار . . ولكن سرعان ما تعود إليها ، وتدرك مغبة هذه الصراعات ، وتقوم بعمل مصالحة أو موازنة بين أطراف النزاع ، وتخطو خطوة نحو الطريق السوي الذي يضمن لها البقاء والاستمرار ، ويحقق لها الذبوع والانتشار ، باعتبار أن السينما أهم وأخطر وسيلة من وسائل الاتصال الجماهير ، حيث اجتمع في بنائها وتكوينها : الصورة ، والحركة ، والكلمة ، والألوان ، والأصوات .

ولا يخفى عن أذهاننا أن الإنتاج السينمائي في أى بلد من بلاد العالم المتحضر يختلف من حيث الكم والكيف بين العام والآخر . فيوجد فيه الجيد والردىء والمتوسط من الأفلام ، كما تختلف نسبة الأفلام الجيدة إلى الأفلام الرديئة فتعلو حيناً موجة الأفلام الجيدة في عام وتطغى حيناً آخر موجة الأفلام الرديئة في عام آخر ، وقد تستمر هذه الموجة أو تلك عدة أعوام ، ولكن لا يمكننا بأية حال من الأحوال ، أن نحكم حكماً مطلقاً وحاسماً وشاملاً ، ونقول إن هذا الإنتاج أو ذاك ، متخلف أو متقدم نتيجة لكثرة الأفلام الرديئة وقلة الأفلام الجيدة ، مهما تكن هذه القلة محدودة ، ولا يعنى هذا أنه انعدم وجود الأفلام ذات القيمة الفنية أو الموضوعية أو الإنسانية الصادقة . . وإنما يعنى أن نسبة هذه الأفلام قلت وتقل ، وليس في مصر فقط ، وإنما هي ظاهرة في العالم أجمع . وقد يكون ظهورها في الأفلام المصرية ملموساً أكثر بطبيعة الحال ، وعلينا أن

نبحث عن طرق علاجها وإصلاحها لا أن نهاجمها هجوماً عنيفاً لا رحمة فيه يقضى على حاضرها وماضيا . ويلغى وجودها الذى استمر أكثر من خمسين عاماً . علينا أن نأخذ بيدها ، ونبحث بهدوء وصدق ، عن الأسباب التى أضرت بها ، ودفعنا إلى هذه الهاوية ، ونعمل متضامنين على إنقاذ ما يمكن إنقاذه . دون حقد أو ضغينة أو عصبية . . . وبقينى أن السينما فى بلادنا ، لو أنها سارت على منوال ما وصلت إليه ، فى نهاية الثلاثينات والأربعينات وبداية الخمسينات لو وصلت إلى درجة أحسن مما وصلت إليه اليوم .

● تاريخ السينما المصرية ، لماذا لم نحاول أن نكتبه لنا ؟

- الواقع أنى مكلف من قبل الدولة (وزارة الثقافة) أن أقوم بهذه المهمة بعد أن رحل عنا أستاذنا العزيز محمد كريم ، الذى كان قد بدأ فعلاً فى كتابة هذا التاريخ . وأنا بدورى أهتم بهذه الدراسة منذ سنوات ، ولكن الأمر الذى يعوقنى ، هو أنى برغم كونى من المعاصرين للسينما كهواية منذ عام ١٩٢٧ وبرغم أننى مارستها عملياً كمخرج ومساعد إخراج ، وأننى قد شاركت بمجهود متواضع مع الرعيل الأول من أعلام شبابها منذ عام ١٩٣٥ . . إلا أننى أقف طويلاً أمام مراجعة الأحداث التى مرت بالسينما قبل هذه التواريخ . وهذا كما لا يخفى عليك ، يحتاج إلى كثير من الوقت ، لاستطلاع وتجميع كل الجزئيات ، ومضاهاة ما نشرته الصحف والمجلات والدوريات القديمة ، وهذا يحتاج إلى الصبر والمعاونة ، إن المرحلة الأولى ، هى مرحلة البداية الصعبة والنشأة الأولى هى المرحلة الصعبة والشاقة التى أرجو أن أنتهى منها هذا العام .

● الفيلم السينمائى الجيد ، ما هى مواصفاته فى نظرك ؟

- الفيلم الجيد هو الفيلم الذى يحقق المعادلة الصعبة ، أى يطبق الموازنة والتعادل بين عناصره الأساسية من الناحية الإنتاجية ، وبين أهدافه الاجتماعية من الناحية

العلمية . فالفيلم يعتمد أصلاً على أربعة أركان ، هى عناصره الأساسية فى بنائه وتكوينه الناحية الفكرية أو الموضوعية والناحية الفنية أو الجمالية ، والناحية الحرفية أو الصناعات العلمية والهندسية ، وأخيراً الناحية التجارية أو تسويق الفيلم من حيث التوزيع والعرض كما أن له أربعة أهداف من الناحية الاجتماعية : الجانب التربوى ، الجانب الثقافى ، الجانب الإعلامى ، وأخيراً الترفيهى . وعلى قدر تحقيق الفيلم لهذه العناصر وتلك الأهداف بشكل متعادل ومتناسب ، تكون درجة نجاحه وامتياز .

● العناصر السينمائية الشابة هل تعطى أملاً فى إخراج السينما المصرية من أزمتها ؟ - إن كل الأفلام التى ظهرت فى السنوات الأخيرة لمجموعة من شبابنا الطموح المتوثب تبشر بالخير العظيم والأمل الكبير . وأذكر منهم على سبيل المثال : حسين كمال ، خليل شوقي ، سيد عيسى . شادى عبد السلام ، محمد عبد العزيز ، أشرف فهمى ، محمد راضى ، سعيد مرزوق ، على بدرخان ، على عبد الخالق . وفريق منهم نجح وأثبت وجوده من أول أفلامه ، وفريق آخر نجح وأثبت وجوده بعد فيلم لوفيلمين ، ولكن الذى أرجوه من هؤلاء الشبان وأمثالهم أن يثابروا فى تقديم الجديد فى كل فيلم ، وفى إضافة شئ ما إلى الفن السينمائى والآن يسيطر عليهم الغرور إذا نجحوا فالحياة كفاح ، وتجارب وإصرار والمستقبل للصابرين المناضلين ، من أجل رفع مستوى السينما المصرية ، من الوهدة التى تهاوت إليها ، بسبب عبث العابثين وطمع الطامعين .

● المؤتمرات والمهرجانات العالمية ، التى تقام بخصوص السينما هل استفادت منها حركة السينما للدول النامية ؟

- أرى من وجهة نظرى أن هذه اللقاءات لها وجهان : الأول مضيء مشرق ومفيد . والآخر معتمق مؤذ وضار فى بعض الأحيان . أفادت من حيث إنها جعلت العالم يحس بالإنتاج السينمائى فى هذه البلاد النامية ويعترف بوجود حركة سينمائية فى تلك

البلاد كما أنها أفادت المبعوثين إلى هذه المؤتمرات والمهرجانات بمشاهدة كل جديد فى السينما العالمية ، وقد يفيدهم هذا من حيث إنه يوسع مداركهم ويرفع من مستوى تذوقهم السينائى ويدفعهم إلى إضافة شئ ما إلى إنتاجهم المحلى . وأضرت باعتبار أنها بدأت صافية وصادقة وعادلة ، فيما تقيمه من ندوات وفيما تصدره من أحكام . إلا أنه مع مضى الزمن تغيرت الحال وبدأت المجاملات ، والميول والمطامع والأغراض والعلاقات سواء كانت شخصية أم مذهبية أم سياسية أم تجارية ، تلعب دورها وتسيطر على هذه المهرجانات وتغير من مسارها الطبيعى الذى أنشئت أصلاً من أجله . وقد يفوز الفيلم من الأفلام بجائزة أو شهادة تقدير وهنا يكمن الخطر ، من حيث إنها تجعل صاحب هذا الفيلم يقع تحت سيطرة الغرور والخيلاء أو تجعله ينحرف عن المسار القومى لبلاده وشعبه ويجرى وراء بريق العالمية وسراب مكاسبها المتألفة . إن المحلية هى صميم العالمية إذا أدرك الفنان مضمونها الحقيقى وعبر عنها بصدق وأمانة حتى يفيد وينجح بين أهله وعشيرته قبل أن يفوز بالسبق العالمى .

● كيف يمكننا أن نحصى صناعة السينما فى مصر من عناصر مغامرة ، تستهدف الربح من أسهل طريق ؟

- هذه الحماية يجب أن تصدر أولاً من السينائيين أنفسهم . ثانياً من نقابة المهنة السينائية ، التى لا تهتم بالسينما والسينائيين فى قليل أو كثير ، ولست أدرى مدى فاعلية هذه النقابة اليوم ، وثالثاً من وزارة الثقافة صاحبة النفوذ والتوجيه ، وذلك بالبحث الجاد عن الحلول الحاسمة ، ولعلها تقلل من الأقوال واللجان وتكثر من الأعمال المثمرة ، وتهتم بالجواهر لا العرض . ورابعاً من النقاد السنائيين على اختلاف مدارسهم الذين يتخبطون فى ديجور من الخلافات والجدل والنقاش الذى لا يجدى ولا يفيد .

● ما هى أبرز الأفلام التى قدمتها أنت للشاشة المصرية ؟ ولماذا انصرفت عن الإخراج لك مدة ؟

- من الصعب أن يتحدث المرء عن نفسه ، أو عن أعماله . . ولكنى أذكر لك بعض الأفلام التى أحس بها الناس ، وقوبلت من النظارة والنفاد : بشيء من التقدير والإعجاب : وهى «العامل» و«النائب العام» و«غروب» و«الجنس اللطيف» و«البيت الكبير» و«ست البيت» و«كدت أهدم بيتى» و«أمريكا فى من طنطا» . أما سر انصرافى عن الإخراج فهو إحساسى بأن السينما بدأت تنهاوى ، وغطت النواحي التجارية والعلاقات الشخصية على مسارها المأمول . . فأثرت الانزواء لفترة ولكن هذه الفترة طالت وامتدت إلى أكثر من عشرين سنة .

وفى رأى أن الفن الذى لا يكون وسيلة فعالة ، لتجميل حياة صاحبه وحياة الناس ، لا يكون فناً جميلاً . وأن الفن الذى لا يدافع عن كرامة الإنسان ويناصر القيم الأخلاقية ويصور البيئة بصدق وأمانة لا يكون فناً جميلاً .

● هل المفروض أن يكون الفنان له رؤية سياسية شاملة ، تقف خلف الجزئية التى يتناولها فنه ؟ أو المطلوب منه أن يجيد فحسب نوعية الفن التى يمارسها ؟

- أنا شخصياً لا أحب السياسة أو الحديث فى السياسة وأؤثر عدم التدخل فى الشؤون السياسية ، ولا يعنى هذا عدم الاهتمام . والضرورة لها أحكام ، فالحياة نسيج متداخل من الوحدات والخيوط المتعددة ، منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية . . إلخ . فلا بد للفنان من رؤية سياسية بشرط أن تتوازن مع الوحدات الأخرى ولا تطفئ عليها . واللمسة الفنية البارة ، هى التى تجمع بين وحدات النسيج فى هدوء ولين دون صخب أو جعجعة . ومن الملاحظ أن الأفلام السياسية هى الوحيدة الكبيرة التى تميز وجه الفن السابع فى السبعينات .

● وبالنسبة لماذا عندما تعالج السينما عندنا موضوعاً وطنياً ، تعتمد إلى الخطابة والزعيق ، هل هو عجز عن الوصول إلى الفن ولغة الفن الحقيقية في مخاطبة الجماهير؟ - الصوت العالى والصراخ المرتفع ، سمة العصر الحاضر ، فى الحديث والنقاش والتمثيل . وهو عيب مشين بطبيعة الحال . يتنافى مع الذوق ومع الأدب مع الفن والأخلاق ، والفنان السنائى الذى يعالج الموضوعات الفنية أو السياسية يقدم على إخراجها دون وعى كامل وإحساس صادق . وهذه النوعية من الأفلام تحتاج إلى مزيد من العلم والمعرفة والدقة ، من سعة الخيال وقوة الإيمان وهناك قول مأثور هو «على قدر إيمانك واقتناعك بالموضوع الذى تعالجه وتخرجه على قدر إيمان واقتناع الجماهير به ، وإذا كان هذا القول يطلق بشكل عام ، على أى موضوع فإنه يجب توفره بشكل حازم وملحوظ فى الموضوعات الوطنية أو التاريخية ، ويؤسفى أن أقرر مرة أخرى ، أن هذا يتعذر وجوده بين غالبية العاملين فى الحقل السينائى . ولهذا كان التواصل مقطوعاً ، بين الجمهور وبين ما يشاهده على الشاشة . والعيب فى ذلك يرجع إلى ضحالة الفنان وعجزه لا فى ضعف أو قصور اللغة السينائية عن التعبير أو التوصيل .

● التلفزيون ما هو تقويمك لتجربته فى مصر؟ هل استطاع أن يحقق شخصية مستقلة وهل أثر على السينما المصرية اقتصادياً؟

- التلفزيون غول ضخم يتطلع كل إنتاج ، ولا يفرق بين الجيد وبين الردىء وإنما هى ساعات طويلة للإرسال . يجب تغطيتها بالبرامج أيّاً كانت هذه البرامج ، فالسرعة والعجلة والهرولة ، من أجل ملء هذه الساعات ، هى المبدأ العام فى العمل التلفزيونى ، والتلفزيون فى مصر بل وفى العالم أجمع لم يأت بجديد ، وإنما هو امتداد للإذاعة من ناحية ، ولهذا أطلقوا عليه أحياناً لفظ «الإذاعة المرئية» ، وهو امتداد للحركة والألوان المصورة من ناحية أخرى ، ولهذا أطلقوا عليه «الشاشة الصغيرة»

للتفرقة بينه وبين شاشات السينما العادية . هو مزيج عصرى وعلمى بين الإذاعة والسينما . لكنه يتميز بعدة أشياء ، أهمها الفورية والآنية فى نقل بعض الأحداث والحفلات والندوات والعروض المسرحية أو السينائية أحياناً ، وأن الأسرة فى البيت عند المشاهدة تحس بنوع من الألفة .

وقد أثر التلفزيون على السينما اقتصادياً ، لا فى مصرف فقط ، بل فى العالم أجمع . . كما أنه أثر عليها فنياً وفكرياً ، لأن معظم العاملين فى الحقل السينائى ، تأثروا إلى حد بعيد وخطير ، بالسرعة والعجلة والهرولة ، التى هى من خصائص التلفزيون . هذا الغول الضخم الذى يتلغى كل إنتاج ، ويقبل أى شىء ذا قيمة أو غير ذى قيمة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فهو يعرض الكثير من الإنتاج السينائى قديماً وحديثاً ، ودفع هذا كله السينائيين إلى الاتجاه الجديد ، وهو عمل المزيد من نوعية افلام الجريمة والجنس والعنف ، بشكل مبالغ فيه ومفصوح حتى يغرى المشاهدين بالتردد على دور السينما ، لأن المفروض أن التلفزيون لا يعرض مثل هذه النوعية من الأفلام .

● ما يسمى بالتجارب الطليعية فى السينما ، هل يحتاج إليها واقع العالم النامى ؟ أو أن الواقعية ضرورية لمشاكل هذا العالم ، وكيف يمكنها أن تحقق التوازن بين لغة سينائية متطورة وبين مراعاة واقع يحتاج التعامل معه إلى الإندماج فيه لا التعالى عليه ؟

— أراى مضطراً أن أردد قول أستاذنا توفيق الحكيم فى حديثه الأخير معك الذى نشرته بمجلة الكواكب فى عددها الصادر بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٧٥ ففيه الرد الشافى على سؤالك ، وقد توفرت فيه البساطة والعمق والإيجاز . وهذا القول هو : كل شىء ممكن أمام التجارب الفنية . وما الفن إلا أشكال وأثواب ، تتغير وتتجدد

باستمرار وليس كل تغيير أو تجديد ، قابلاً للحياة والبقاء . إنما المهم فى الفن وفى
الفكر ، بل وفى كل قيمة من قيم الحياة ، هو عدم التحجر والجمود . علينا نحن أن
نتحرك ، وعلى الحياة أن تتخير الصالح للبقاء .

سبتمبر سنة ١٩٧٥ .

مرسى جميل عزيز

أغانيها متشابهة . . كوجوه اليابانيين في عيوننا !

ما من مرة ذهبت فيها إلى الإسكندرية الأثيرة وأتيح لى اللقاء بالصديق الفنان مرسى جميل عزيز إلا وأعربت له عن رغبتى فى إجراء حديث معه حول الأغنية المصرية وأوضاعها . . ولكنه كان يفلت منى فى كل مرة لا بالرفض القاطع وإنما باعتذار من يشعر بأنه غير واجد القابلية للحديث . . وكان يسوق لى أسباباً لا أجدها وجيهة من قبلى ولكنى كنت أحترم عزوفه .

ومؤخراً التقيت به فى «مقهى دى لايه» حيث ملتقى رجال الفكر والفن بالإسكندرية وبادرته بنفس الرغبة ، وتضافر معى الصديق الشاعر والمجاهد السياسى القديم إبراهيم طلعت المحامى ، وكذلك الصديق الطبيب عازف العود الدكتور أحمد توفيق . . واستجاب الفنان مرسى جميل عزيز . . وكان هذا الحديث .

● قلت للشاعر الغنائى مرسى جميل عزيز : الحديث عن أزمة الأغنية المصرية

يكاد يكون «روتينا» فما من موسم إلا ويتجدد الحديث عن الأغنية وأزمته . . فما رأيك أنت ؟

- وأجابني مرسى جميل عزيز بقوله : البعض عندما لا يجد ما يكتبه يستنجد بالحديث عن أزمة الأغنية . . فهى «الحيلة الواطية» بدليل أننى حتى الآن لم أقرأ نقداً موضوعياً فى كل الكتابات التى قالت بالأزمة . . والمفروض أن يأتى الحديث عن الأغنية وأوضاعها من الذين لديهم الكفاءة لذلك . . ليس هناك من كتابات نحترمها غير ما يكتبه الأستاذ كمال النجمى أحياناً . ومقال كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين منذ نحو عشر سنوات فى صحيفة «الأخبار» لنقد أغنية «ساكن قصادى» أما ما عدا ذلك فمجرد شتائم . . وليس معنى هذا أننى راض عن وضع الأغنية كما هو الآن . . إن هذا الوضع أسوأ بكثير جداً من الاتهامات التى توجه إليها . . ولكن كل ما فى الأمر أننا نفتقد النقد الموضوعى فيما يوجه إليها من اتهامات . . وهذا النقد الموضوعى هو الكفيل بإخراجها من الورطة . بواسطة أن يستفيد الكاتب والملحن والمودى والمستمع من هذا النقد . ● مهما يكن من أمر فبرغم اعتراضك على ما يكتب حول أزمة الأغنية . . إلا أنك اعترفت بوضعها السيئ . إذا كانت هناك أزمة وأن الأغنية أصبحت متخلفة ما هى مظاهر هذا التخلف وكيف يمكنها اجتياز المحنة ؟

- أحب أن أتحدث عن خطورة الأزمة أولاً . . كلنا يوافق على أن الأمية متفشية بدرجة خطيرة بين جماهيرنا ، وهذا ما يلغى أهمية جميع الفنون المقروءة بالنسبة لجماهيرنا الأمية . . ومعنى هذا أن الأغنية هى الفن الوحيد الذى يصل إليهم وتصبح لها فعاليتها المؤثرة فى مشاعرهم . . بجانب هذا فالأغنية هى أول فن يتلقاه الأطفال منذ البداية . . وبواسطة ضغطها وإفرازاتها تشكل وجداناتهم فى مرحلة تبدأ فيها شخصياتهم فى التكون . . ولقد ظهرت نظرية حديثة تقول بأن الفنون التى تكتب للأطفال خصيصاً

ينصرف عنها الأطفال ولا يكون لها شأن في التأثير الداخلى في أعماقهم . . بل قد أثبتت هذه النظرية أن الأطفال يتأثرون بفنون الكبار وهناك دراسة قدمها التلفزيون الأمريكي مؤخراً انتهت إلى هذه النتيجة . أعود إلى سؤالك لأنساءل . . هل أغانينا باستثناء قلة محدودة . . تأتي على درجة من الجودة الفنية التي تبرر أن نترك لها مطلق الحرية لتشكيل وجدانات الجماهير العريضة . بجانب قاعدة الطفولة . . هل النص الأدبي للأغنية بصفة عامة يصل إلى مستوى الأعمال الفنية ؟ . . مادمت تطلب مني الإجابة فدعني أقلها لك بضمير مطمئن . . لا . . لا يا صديق . . إنها مبادل وليست أغنيات تلك التي تتوالى على أسماعنا وتخرب الذوق فيها . . هناك سبب بسيط لذلك إن نسبة كبيرة من الذين يؤلفون الأغاني . . بينهم وبين الثقافة من أى نوع خصومة مستحكمة . . إن أى إنسان يجيد عملية الوزن يستطيع أن يكتب الأغاني ويستطيع في ظل المناخ السائد في حياتنا الفنية أن يجد من يشتريها ومن يلحنها ومن يغنيها ومن يروج لها . . بل إن البعض منهم يفتقد حتى إجادة عملية الوزن ذاتها . . كلام . . أى كلام . . والسوق تحتضن . والبضاعة رالجة والنقد غائب !

ثم يأتي دور الملحن . والمصيبة أشد خطورة . . خاصة في الفترة الأخيرة . . أصبح الفارق بين لحن ولحن هو مجرد اختيار الآلات الفردية مثل السكس والجيتار والأورج والطبول . بدون موهبة متميزة . . وشخصية متفردة ، لم يعد هناك خلق وإبداع ومعاناة . . والدليل على ذلك أننا عندما نسمع أى جزء من أغنية قديمة فللتو نعرف ملحنها ومؤديها . .

أما الآن فمجرد جمل موسيقية طويلة لا نعرف إن كانت للموجى أو بليغ حمدى أو حلمى بكر أو سلطان . . أصبحت أغنياتنا مثل وجوه البابائين متشابهة لدرجة أننا لا نعرف بعضهم من بعض حتى أن جانباً كبيراً من أولادنا أصبح يقبل على الأغاني

الأجنبية ويرددها بدون فهم كلماتها وذلك لإفلاس ملحنينا في جذب اهتمامهم .
● ولكن يا صديق ألا تشكل الأصوات الغنائية جزءاً من الأزمة . . ليس هناك
ثمة إضافة مبشرة ؟

- الأصوات المنتشرة جيدة بالتأكيد . . ولكنها لا تكتفى إطلاقاً لجعل نهر الغناء
يتدفق بالحياة . . ويقال إن المشكلة تكمن في عدم ظهور أصوات جديدة ربما . .
ولكن الواقع يؤكد أننا نمتلك أصواتاً بالغة الجودة . . وكثيرة . . ولكنها مركونة بلا سبب
مفهوم . . وهى لا تقل عن الأصوات التى تلح على آذاننا فى الصباح والمساء . . قل
لى . . لماذا ألقوا فى جب النسيان بسعاد مكاوى وأحلام وحورية حسن وعائشة حسن
ومحمد قنديل ونازك وكارم محمود . . هؤلاء كانوا إمكانات غناء هائلة وخصبة . . فلماذا
فى غمار الضجيج تحجب أصواتهم . . والمسئول عن ذلك ليست شركات الإسطوانات
والأفلام وحدها . . الإذاعة والتلفزيون شريكان فى المسؤولية بلا جدال . لقد أصبح
هذا الجهاز يعيش على الإنتاج الذى يقدمه له المطربون وشركات الإسطوانات . .
وعندى سؤال أحب أن أليه . . كم عدد الأغاني الناجحة التى قدمتها الإذاعة
والتلفزيون فى السنوات العشر الماضية من خلال ميزانيات باهظة التكاليف .

وإذا كانت هناك محاولة جادة تريد إخراج الأغنية من أزمتها . فلا بد أن تكون
البداية من أجهزة الإعلام . . فى الماضى منذ عشرين سنة تقريباً كان هناك نظام
مختارات الإذاعة بواسطة هذه المختارات شقت طريقها الأغنيات الناجحة والأصوات
الغنائية المؤكدة . . مثل أغنية « مال الهوى يا أمه » التى قالت عنها المطربة صباح مؤخراً
بأنها كانت بداية حياتها الفنية الحقيقية وكذلك كانت أغنية « أنا قلبى إليك ميا » بداية
فايزة أحمد . . وهى من مختارات الإذاعة ولدت . . أما الآن فدلونى على أغنية واحدة
أو مطرب ناجح من خلال الإذاعة والتلفزيون . . ويبدو أن ميزانية الإذاعة لم تعد

تكنى غير موظفيها الإداريين . . أما الأعمال الفنية فلها رب اسمه الكريم ! ! ولا داعى
الآن للتعرض للشلبية المستفحلة . . إن الأوساط الفنية تعرف الآن بالاسم من هم حماة
فلان . . ورجال فلانة .

● قد يكون ذوقاً فجاً أو متخلخلاً . . أو ربما أكون متعياً لعصر اندثر ولكنى لا أهتم
رأى فى أن الأصوات التى يقدّمونها لنا باسم الجديد . . إنها فى رأى « لذب » وشيء
يجل فى أغلب الأحيان . . وشيء ليس من المعقول أن تكون مصر قد علمت . . فى
رأيك ما هى الطريقة الأفضل لاكتشاف المواهب الجديدة ؟

= قلت لك من قبل إن أجهزة الإعلام لم تعد تتحسس للاكتشاف . . أو
احتضان الجديد الحقيقى . وأصبح الأمر بخلافه متروكاً للمعلن لتقديم الصوت الذى
يرى فيه الصلاحية . . وجمعة البعض ليست فوق مجال الشك . . مما يجعل طريق
المواهب الجديدة مخفوفاً بالشوك . . مما يجعل بعض المواهب تعجز عن مواصلة
الطريق . . أو يحجب عنها أى ضوء يريها معالم الطريق . . ومن جهة أخرى ألم أقل
لك منذ لحظة إن كل مطرب أو مطربة من أصحاب النفوذ له أولها (سيدة) فى أجهزة
الإعلام . . وفى يد هؤلاء القدرة التامة لحجب أى مواهب حقيقية حتى لا تشكل أى
منافسة تعرض البعض للخطر أو الاهتزاز .

● طيب . . إنه الظلام . . هل يكفى أن تلعه لينتشف . . علينا أن نوقد شمعة .
قل لى كيف يمكن أن نوقدها . هل من سبيل لينجذب الضباب ؟

- ليس هناك من حل للخروج من أزمة اكتشاف المواهب الجديدة . وحمايتها من
الطرق التحتية غير أن تتكون فى الإذاعة والتلفزيون لجنة من كبار الأدباء والشعراء
والنقاد والصحفيين والممثلين بجانب أساتذة علم الصوت للإشراف على تنظيم عملية
اكتشاف المواهب الجديدة وتقديمها ورعايتها وإتاحة الفرص أمامها . . لأن الصوت

الجديد في حاجة إلى نص جيد ولحن أجود أكثر من حاجة الأسماء الراسخة في السوق !
● سمعت أنك تنهك الآن في كتابة سيناريوهات أفلام جديدة . . لقد عرفناك
كاتب أغنية نعتز به . . مالك والسيناريو؟

- الواقع أنني لم أقتحم مجال السيناريو متطفلاً عليه . لقد أدركت منذ أمد بعيد أن
اهتمامي بالشعر وضرور الثقافة المتباينة لا يكفي وحده لفنية الأغنية ، وعرفت أن الثقافة
الدرامية على أعلى مستويات هي التي تكفل لي كتابة أغان تتوفر فيها هذه الفنية بالدرجة
التي تشعري بأنني أعطيت جديداً ، ولم أعزف مجرد اللحن المألوف . . واستغرقتني
دراسة الدراما . حتى أن المقتنيات الدرامية في مكتبي تكاد تتعادل ودواوين الشعر قديمة
وحديثة . . ولقد أتاحت لي دراسة الدراما أن أستفيد منها كثيراً فيما كتبت من
أغنيات . . وبالنسبة لعلك لا تعرف أنني خريج الدفعة الأولى في معهد السيناريو . .
ولقد اشتركت في كتابة أكثر من سيناريو لبعض الأفلام . ولكن الأوان قد آن لأقدم
أعمالي كاملة وأتحمل أمام المشاهد مسئوليتها .

● لقد أثير بعد رحيل «كوكب الشرق» أم كلثوم كلام كثير عن خلافتها . . في
هذه القضية هل لديك ما تقوله ؟

- الفنان العظيم حقيقة لا بد أن تتوفر له خاصية أن يكون منفرداً بسمات لا يشاركه
فيها أحد غيره ، وإلا فقل لي من هو خليفة شارلي شابلن . ومن هو خليفة والت ديزني
وسيسبل دى ميل . . وليس في هذا إقلال من شأن الآخرين . . فعندنا مطربات
عظيمات بدون شك . لدينا نجاة وفايزة وشادية وسعاد محمد وفيروز . . ولكن أم كلثوم
كانت نسيجاً خاصاً . . وهي لم تكن بصوتها فحسب . . بل بكل مظاهر حياتها . .
بكل محتواها كانت أم كلثوم الشيء الخارق المنفرد . . وليس معنى هذا أن مصر التي
أنجبتها غير قادرة على أن تقدم لنا مثلاً . . كل ما أعنيه أن احتمال وجود مطربة عظيمة

مثلها ليس مستحيلاً . . ولكن المهم أن تكون شيئاً خاصاً لا نسخة أخرى منها !

● في مجال حديثك عن الدراما استعملت تعبير « فنية الأغنية » ماذا تعنى بهذا

التعبير» وهل هناك فارق بين القصيدة المقروءة والقصيدة المؤداة غنائياً ؟

— هناك قصائد مقروءة تصلح للغناء والأمثلة كثيرة في شعر شوقي وناجي ونزار .

ولكن القصيدة التي تكتب للغناء أساساً لها مواصفات ليس منها أن تكون قصة كما فعل

البعض . فالقصة شيء والأغنية شيء آخر . المفروض أن الأغنية تعالج موقفاً محدداً

يتسم بالعمق وليس بالعرض والتفاصيل والزوائد كموضوع الإنشاء . وكما نجد البعض

يفعل . . كما أن ألفاظها وتركيبها يتحتم أن تكون من الوضوح والبساطة الفنية بمكان . .

لأن قارئ القصيدة ينصب كل إحساسه في أكثر من مرة حتى يدرك إحساس الشاعر .

أما القصيدة المغناة فإنها تصل إلى المتلقي من خلال صوت ولحن وجمل موسيقية فإذا لم

يكن الشعر واضحاً والوضوح الكافي يتوه منه الموقف . . لهذا فإن اللحن يساعد على

الانتشار السريع للأغنية . . أما الكلمات فهي وحدها التي تحمل مسئولية بقائها . . كما

أن الطاقة الإيجابية لكلمات الأغنية هي التي تلهم الملحن الحساس للطريقة التي تتعاقب

مع كلماتها في وحدة فنية منسجمة .

● هل يستطيع الصوت الجميل وحده أن يعوض ركافة النص أو ضعف اللحن ؟

— يستطيع بدليل النجاح السريع لمعظم أغاني هذه الأيام . . وبدليل انتشار

الأغاني الأجنبية التي يرددها البعض بدون فهم لكلماتها . . ولكن هذا النجاح يزول

بسرعة ، فهنا تكاثف الدخان فإنه سرعان ما يتبدد . . وهذا من نعم الله وإلا ففسدت

أذواقنا ! !

● مادمت قد تحدثت عن إفساد الذوق . . ما نراه الآن منتشرأ بين الطبقات

الشعبية من غناء هابط وغث ومبتذل . وحتى بدون ترابط وإنما مجرد كلمات من هنا

وفقرة من هناك . . بلا فن . . بلا معنى غير المفارقة اللفظية . . ومع ذلك يعبأ في
الأشرطة ويتهافت عليه الناس ويتحول أصحابه إلى أرباب عمارات . . ألا يشكل هذا
جريمة لإفساد الدوق . .

= ما تندد أنت به وترجف منه اعتبره أنا ظاهرة صحية . . لأنها تسمى الأشياء
بأسمائها . . وهذا يتيح لنا أن نكتشف مكان الخطر . . بدلاً من تغليف السموم على
أنها أدوية . . وكما يقاوم الجسم الميكروبات الغريبة وتبدو عليه مظاهر الحمى ليبادر
بالعلاج . . لقد ظهرت أغاني التبرج باسمها الحقيقي في مواجهة أغنيات تغلف تبرجها
بالسلوفان . . ولم نرعم كما ادعت الأخيرة أنها أغاني راقية ، ومن هنا علينا المبادرة
بالعلاج . . إنهم يقولون إن المنولوج أخذ ينقرض . . ليس هذا صحيحاً . . إن الأغاني
في الحقيقة هي التي توشك أن تنقرض . . لقد تحول معظم المطربين عندنا إلى
منولوجستات . . إن تناك نصوصي : أغان لا يكفي أن أف أمام مبنى الإذاعة وأضع
أرجل أصحابها في (هلكة) عقاباً عليّ، ما اقترفوه في حق الدوق العام . . ولكن المسئول
عن ذلك هو المطرب ولا مدغمه ، فإذا أتبع للبعض منهم أن يكون فقط على بعض
الثقافة الموسيقية فهو مجرد تماماً من الثقافة الأدبية . . ومن هنا تأتي سيطرتهم على المؤلف
المسكين الذي يرضخ لما يتمشى مع أذواقهم حتى يذاع اسمه !

● قرأت لك مؤخراً قصيدة تتحدث عن عذاب الشاعر الذي تلاحقه مصلحة
الضرائب ، والمفارقة أن القصيدة كانت منشورة في مجلة الضرائب ذاتها . . وليس هذا
ما يعنيني ، ولكن عندما قيل إن الدولة قد اتجهت لإعفاء الفنانين والأدباء من
الضرائب ثارت زوبعة تعارض هذا . . باسم كيف يعنى من كسب الألوفا بينما يدفع
الشعب الكادح التزاماته الضريبية . . ما رأيك أنت في هذه القضية كشاعر أعرف أن
الضرائب تلاحقه ؟

- إن الإغفاء الضربى لا يجب أن يشمل غير الفنانين والأدباء والخالفين من شعراء وصحفيين وكتاب قصة وملحنين . . أما الذين يستفيدون من أعمال غيرهم بالأداء أو التسويق كالمطرب والراقصة والمنتج السينمائي أو أصحاب شركات الإسطوانات فالأمر يختلف بالنسبة لهم . . نحن الكتاب فقراء ومهما سخرنا كل ما فينا من طاقة فيسظل الواحد منا طيلة عمره لا يمكن أن ينال ما يكسبه ممثل أو منتج في موسم واحد . . على سبيل المثال لقد تقاضيت عن أغنية « يا أمه القمر على الباب » خمسة عشر جنيها بينما الطبال الذى يصاحب فرقة فائزة أحمد تعدى إirاده عن هذه الأغنية وحدها فى حفلات فائزة الألف جنيه . . إن المؤلف والأديب والملحن ليس له معاش يحتمى به عندما يتوقف عن الإنتاج . . أنا رغم حصولى على أكبر أجر فى تاريخ مهنتى إلا أننى أجد نفسى عاجزاً عن سداد ما تطالبنى به الضرائب . . أى أننى حتى الآن لم أستطع أن أنال ما أعيش وأسدد به ضرائبى . . ولهذا فقد حجزت المصلحة على جميع ما ورثته عن أبى . . إننى نادى تماماً على ممارستى لهذه المهنة . . ولكنه قدرى . . أقول لمصلحة الضرائب لسنا تجار خردة ولا أصحاب كباريات . . ليس لنا ما نقتات به غير مداد القلم فدعونا نعيش بلا منغصات . . ارفعوا أيديكم عنا واذهبوا إلى الأغنياء .

● قلت فى النهاية لمسى جميل عزيز . . يبدو أننى أرهقتك . . ما أكثر ما عندى لأتحادث فيه معلق . . ولكن سأكف . . وأنت هل لديك فى النهاية ما تحب أن تقول ؟ - أريد أن أقول كلمة لمحمد عبد الوهاب بالذات ولتقادنا أيضاً ؟ لتقادنا أقول إن فن الأغنية ينتظر منكم جهداً لتقويمه ومواكبته . . إن فن الأغنية من أخطر الفنون تأثيراً فى جماهير شعبنا . . إن دور شخصية واحدة مثل محمد عبد الوهاب ربما يكون أخطر من دور طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ مجتمعين ، وقد يجد البعض فى هذا القول مبالغة ، ولأول وهلة ، ولكن عندما تتعمق الأمور فعلينا أن نسمى الأشياء

بأسمائها . . لهذا فلا بد من نقد متخصص ودراسات مستفيضة لهذا الفن البالغ الخطورة
يتناسب مع أهميته القصوى في حياتنا الاجتماعية . .

أما كبيرنا الذى علمنا السحر الفنان محمد عبد الوهاب فأنا أناشده أن يعكف لنا
على كتابة مذكراته ، كتابة عميقة لا تتناول مجرد الأحداث بالطول والوقائع بل بالعمق
والدلالة . . وكيف استطاع أن يتبوأ قمة القمم . . إن هذه المذكرات سوف تكون
شاهداً على عصر بأسره بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والفنية . . وليس غير عبد
الوهاب من الذكاء والخبرة والافتدار وحضور الذهن من يستطيع أن يلقي لنا الضوء على
هذا العصر أناشده ، أن يفعل هذا قبل أن يفوت الأوان . . ويصبح المجال خالياً
للادعاء ومختزعى الأساطير كما حدث بعد رحيل أم كلثوم . .

مارس سنة ١٩٧٦ .

محمد جبريل

روائى يفوز بجائزة النقد !

عندما طالعت اسمه كفائز بجائزة الدولة التشجيعية ، اهتزت مشاعرى بمسرة متناهية غامرة . . فبجانب عاطفة حب أكنها له منذ أمد بعيد عندما تلاقت خطواتنا فى درب الأدب . هو صديق من الذين يبذلون الود صفواً ، والحب خالصاً . ويملكون النقاء فى مواجهة الزيف . والصدق فى مجابهة الأغراض ، وزميل تفعم مشاعره الرغبة فى العطاء ، والنظرة الموضوعية التى لا تنتمى إلى شلة ولا تستهدف فى كل ما تكتبه غير وجه الحقيقة . . وقد كان واحداً من الذين حملوا هموم قضية جيلهم وكافحوا من أجل انتصارها بعيداً عن الانغلاق والتعصب والذاتية .

بجانب عاطفة الحب هذه التى فجرت السعادة فى قلبى ، أحسست للتوبأن هذا الانتصار لا يخص محمد جبريل وحده . . إن فوزه يعنى جيلنا بأسره . . فهذه هى المرة الأولى التى يفوز بها واحد من جيلنا . . جيلنا المكافح الذى جاء ليؤكد أصالته وإضافته

حاملًا إحساس هذه الأرض ومعاناتها ، وشوقها إلى الحرية والعدل ، وقدرتها على العطاء والإبداع . . والحقيقة أن السمة التي تطالعا في أعمال محمد جبريل سواء في مجال القصة والرواية أوفى مجال الدراسات الأدبية . أومن خلال كتابته عن قضية أدباء الأقاليم هي أن مصر هي المنطلق الذي تصدر عنه كافة تلك الأعمال .

وهذا لقاء مع روائي فنان فاز مؤخراً بجائزة الدولة التشجيعية في النقد عن دراساته «مصر في قصص كتابها المعاصرين» . .

● قلت للأديب محمد جبريل :

من كتاباتك يتضح اهتمامك البالغ بمصر وقضاياها . ألاحظ هذا منذ أمد بعيد في موضوعاتك النقدية والأدبية . وقد تبلور هذا بجلاء في الدراسة التي نلت عنها جائزة الدولة التشجيعية مؤخراً ، أعني كتابكم (مصر في قصص كتابها المعاصرين) فهل يمكن أن نتلمس البداية ؟

- في الحقيقة ، بدأت الدراسة خاطرة في ذهني . كيف تبدو صورة مصر بالتأمل في أعمال الأدباء . واقترنت هذه الخاطرة برغبة ملحة وضرورة أن أتوقف عن العطاء الفني حتى أتيح لنفسى فرصة الاطلاع والقراءة على نحو واسع ومتعمق وراصد . . فضلاً عن عامل هام هو رغبتى التواقة في أن أصادق شعب بلادى أولاً قبل محاولة التصدى للتعبير عنه . . ولأن الخاطرة لم تكن سوى علم له كراريسه في كل الجامعات الأوربية وهو علم الاجتماع الأدبي . فقد كان إقبالى على إعداد الدراسة نوعاً من التطبيق لهذا العلم . . وبالطبع لم تكن أمامى ريادة مصرية من أى نوع في هذا المجال ، بل لعلى لا أكون مبالغاً عندما أقول بأن بدايتى كانت من تحت الصفر بدرجات . . ومن هنا فقد كان تصورى للعامين اللذين قدرت أنها يكفیان للتوقف عن العطاء الفني وإنجاز الدراسة تقديراً خاطئاً إلى حد كبير . . لقد امتدت الأعوام . منذ عام ١٩٦٣ حتى

الآن ، وكان الجزء الأول الذى صدر منذ عامين هو محصلة هذا الجهد الطويل . ولعل أوشك الآن على الانتهاء من الجزءين الثانى والثالث . .

● ولكنك لم تذكر لى الدوافع التى سافقتك إلى كتابة الدراسة ؟

= اعتقد أننى أشرت إلى ذلك فى مقدمة الدراسة ، وإن كان الهدف منها باختصار هو الرد على السؤال : هل لدينا كاتب مثل جوركي يجوب أطراف مصر مدلولاً بحبه الشديد لأرض وطنه وناس بلاده . . يرى كيف يعيش هؤلاء الناس ويتفهم روح شعبه . . فضلاً عن كونى كنت أعانى أزمة «كاتب» بطله تشيكيوف التى أحسست أنها لا تستطيع أن تواصل الحياة دون هدف لهذه الحياة . وكان استأذنها عاجزاً عن أن يجيبها على سؤالها الكبير : «ماذا ينبغي على أن أفعله . . ما هو هدف الحياة ؟» .

● قولك هذا يسوقنا إلى قضية الالتزام . . هل تؤمن بالالتزام الأدبى ؟

= يقول جورج أورويل ، إنه لو قبض له أن يعيش فى عصر غير هذا العصر . وفى زمن يسوده السلام لكان من الجائز أن ينصرف إلى الكتابة الموهلة فى الزركمة والتجميل ، وأعتقد أن هذا ما كنت سأفعله بدورى لو أن ظروف عصرنا كانت مختلفة عما هى عليه . . والالتزام قضية يثيرها النقاد كما يثيرون قضية المحلية والعالمية وغيرها من القضايا التى أغرموا بالفسطة حولها ، فكلها القضايا البديهة لا تحتاج إلى جدل وضياح وقت . . فأننا لا نستطيع أن نتخيل أن هناك كاتباً غير ملتزم أساساً . فالدافع الأول المؤدى إلى الكتابة يتمثل أساساً فى الدفاع عن قيمة إنسانية ما ، وتوصيل وجهة نظر . وتحديد موقف معين من الحياة . . وإذا فقد الكاتب الشئ الذى يريد توصيله ، فإنه يدخل منطقة انعدام الوزن . حيث يفقد شخصيته وهدفه ، وينحول أدبه إلى مادة هلامية لا لون لها ولا طعم ولا رائحة . . ولا يمكن أيضاً للفنان أن يدافع عن أشياء مدمرة لروح الإنسان ، ولا تحوّل إلى مجرم فى حق نفسه وحق الإنسان ، لأن الفن

الالتزام بالدفاع عن كل ما هو خير . . وكل ما هو شرف . . وهذا يختلف - إلى حد التناقض - مع الالتزام . .

● هذا يؤدي بنا إلى مناقشة مسألة ارتباط الفنان بوطنه ، وهل هذا الارتباط شرط أساسي في اعتقادك لصدقه الفني - وصدقه الإنساني ؟

- في اعتقادي أن الصدق الفني لا يمكن أن ينفصل أبداً عن الصدق الإنساني . فليس من المعقول أن تحب أو تتعاطف مع عمل له شكله الدرامي المحكم والجميل . بينما ينطوى هذا العمل على مضمون فاسد يطفئ شعلة الأمل والحياة في نفس الإنسان ، مثله في ذلك مثل الجريمة الكاملة التي لا تستطيع الشرطة أن تكتشف سرها ، لأنها لا تنطوي على أية ثغرة يمكن النفاذ منها إلى هتك سرها . . فبالرغم من أن الذكاء الحارق هو الذي دبر حيلتها ، إلا أننا في نفس الوقت لا يمكن إلا أن نحتقر هذا الذكاء وندينه ، لأنه أساساً ذكاء مدمر هدام . . والفن وجد أساساً من أجل الإنسان وقضاياها وأهدافه في حياة أفضل . وليس لإفسادها جميعاً .

ولذا فإن كل الأعمال السلبية التي تحتقر الحياة ولا تشارك في دفعها إلى الأفضل والأجمل والأسعد فهي محكوم عليها بالموت والاندثار . . وحياتنا مليئة بالهموم وهي بالتالي ليست في حاجة إلى الفنان المتشائم أو الفنان السلبي الذي يعكف على اجترار رؤى مريضة أو وليدة عقد ذاتية موغلة في تضخيم أوهامها ، ليضيف إلى الحياة ما يزيدها هموماً . وهناك فارق بين هموم بناءة تنطلق من تعاطف مع الإنسان وقلق على مصيره ومعاناة لتعقيدات واقعه . وبين هموم متشائمة تترجم الحياة وتضع أحجاراً في طريق مسيرتها نحو الأفضل .

● مؤخراً أثير لفظ كثير حول قضية المحلية في الأدب . وهل هي المدخل الوحيد إلى العالمية في الأدب . أم أن هناك عوامل أخرى تقف بجانب هذا .

- من البديهي أنه عندما لا يجد النقاد ما يناقشونه فإنهم يخترعونه . وقضية المحلية هي من اختراع النقاد ، وهذه الاختراعات هي من التفرعات النقدية التي لا تهتمنى على الإطلاق ولا تعيننى ، لأننى لواهتمت بها لحولت أعمالى إلى نوع من القماش المفصل . فالترزى لا يفصل القماش طبقاً لمقاييس جمالية بقدر ما يهتم بحجم الزيون ومستويات جسمه . وأنا لا أكتب لزبائن . وإنما لجمهور . وأقول هذا لأن المحلية شيء بديهي لا يحتاج إلى مناقشة . فالفنان هو ابن وطنه وبيئته ولا بد أن تحمل كتابته خصائص هذا الوطن وروح هذه البيئة ومكوناتها . . إنه يكتب عن إنسان هذا الوطن وظروفه . فأنا أعيش فى مصر . وأعمل أناساً من مصر وأتفلس هواء مصرياً . وأعانى كل القضايا المصرية المختلفة . فإذا تتوقع منى . . هل أكتب أعمالاً إنجليزية أو هندية أو إيطالية ؟ هل أنوهم مشاكل غير موجودة ، وناساً لا أعرفهم وكائنات وهمية وأمكنة خرافية . . وأنا ابن مصر مهمة فى أن يحتويها بكل مكوناتها وأن يعانقها بكل محتوياتها . . إن من الطبيعى والحتمى والمنطقى أن تكون أعمالى مصرية فى لحمها وسداها ، وإن لم تكن هكذا فهى ليست بأدب على الإطلاق . . الكاتب المصرى لابد أن يكون نبضه مصرياً ولا فقد هويته .

بل ويجب أيضاً أن يكون عصرياً بمعنى أن الكاتب الذى يفتقد حس عصره لا يمكنه أن يعبر عن أى عصر آخر . . والمهم أن يصل هذا الإحساس بالوطن والعصر إلى القارئ . حتى يتمثل نفس التجربة النفسية والخيالية التى مر بها الكاتب قبله . . ومن هنا تأفى المشاركة بين المعطى والمتلقى .

● سؤال . . كان فى خاطرى أن أطرحة منذ البداية والحمد لله أننى تذكرته من بين تفرعات الحوار ، معذرة . . أنت تكتب فى النقد ولك محاولات مشهودة ولكنك كاتب قصة قصيرة وكاتب رواية ولست بناقد أساساً ؟ . . حصولك على جائزة الدولة

في النقد الأدبي - برغم أنك لست بالناقد أساساً كما تؤكد أنت دائماً - ألا يدين هذا الحركة النقدية في مصر والنقاد بوجه خاص . ؟

= على الرغم من كثرة ما يمكن نسبته إلى النقد في كتاباتي الصحفية والأدبية وغيرها ، إلا أنني كنت حريصاً في كل حين على التأكيد بأن أفق خارج أسوار النقد . ولعلني أتصور أن ما حققته بعض هذه الكتابات من التفات إنما مرده في الدرجة الأولى إلى المصادفة الحسنة .

● أعتقد أنك لم تجاوب على سؤالى بما يعنيه تماماً ، ولكنني لا أريد أن أفسرك على الخوض في مسائل ربما تكون غير راغب في الحديث عنها ، ليكن ، ، دعني أسألك : هل يمكن اعتبار دراستك « مصر في قصص كتابها المعاصرين » محاولة نقدية لتلك الأعمال التي ظهرت من خلالها مصر وتناولتها الدراسة ؟

= ثمة حقيقة يجب أن نتفق عليها ، هي أن النقد الذي يقيس الروايات والأبعاد ثم يصدر أحكاماً ويدلل عليها ، ليس هو محتوى هذه الدراسة ولا غايتها ، وأنا لا أتخذ موقف الناقد الذي وصفه تشيكوف بأنه أشبه بدهاب الخليل الذي يعرفها أثناء حرثها ، فالآراء التي يضمها هذا الكتاب هي من قبيل الاجتهادات الشخصية التي ربما كانت أخطاء محضة . . وليس معنى هذه الدراسة أن تقف أمام القضايا الأدبية العامة كفضية الشكل والمضمون مثلاً وما يتفرع عنها من قضايا الفن للفن ، والفن للحياة وإن كان الفن في أبسط تعبير شكلاً يحتوى على مضمون . والشكل مهم جداً لأنه بدون الشكل لا يكون هناك موضوع فني . . الشكل هو الذى يفرق بين شكوى في رسالة وقصة في رسالة . . ولكن انغماس الفنان في لعبة الشكل بدون توافقه مع المضمون . أو كونه غير نابع من هذا المضمون الذى يعبر عنه عمله الفني هو من قبيل رسم اللوحات التجريدية ليس فيها غير خطوط وألوان .

وباختصار فإن هذه الدراسة التى تعمدت اختيار بعض الفقرات بصورة مطولة من هذا العمل أو ذاك تهدف إلى أن تدع النصوص نفسها تصور وتعبّر. ذلك لأن العمل الفنى - بأسلوبه ونهجه الفنى . يؤرخ لعصره ويبرز قسّماته وملاحمه .

● لكل عمل بالطبع إضافات يطرحها فى مسار الثقافة ، ومن هنا يأتى مبرر وجوده ، فها هى الإضافة التى تعتقد أو التى استهدفت أن تحقّقها هذه الدراسة . ؟ - فى اعتقادى أن هذه الدراسة قد تكون هى الوحيدة التى قدمت صورة صادقة عن مصر من خلال مسح شامل ودقيق لأعمال كثيرة لكتاب مصر خلال الفترة التى دارت الدراسة فى إطارها . ولعل هذه الدراسة تساعد على تعزيز قيام « علم الاجتماع الأدبى » الذى يحتاج بعد هذا إلى أعمال أخرى مثل هذه الدراسة . ويمكن أن تساعد على قيام هذا العلم . واستناده على أصول ومقومات ونصوص .

● خارج المضمون الأساسى لهذه الدراسة . ما أهم القضايا الأدبية التى خرجت بها من التجربة ؟

- لقد أتاحت لى هذه الدراسة - بالضرورة - أن أقرأ الكثير من القصص التى عبرت عن مراحل متباينة من حياة المجتمع المصرى ، تلك التى تضرب فى أعماق التاريخ ، ومن الطريف أن بعض هذه القصص رغم أنها كانت بدايات لهذا الفن إلا أنها كانت تحتوى على كثير من ملاحمه ومقوماته ولو أنها كانت غير مؤكدة الحس . كما تكشف لى بفضل هذه الدراسة أن هناك أعمالاً قد لا تمت إلى الفن إطلاقاً برغم إنها لكتاب كبار . وعلى العكس فإن هناك أعمالاً تتمتع بكل الإمكانيات الفنية لهذا الفن رغم أنها لكتاب صغار .

● والآن . . ماذا عن مشروعاتك للمستقبل ؟

- أعود من جديد للتأكيد بأننى أقف خارج أسوار النقد ، وأن اهتمامى الأساسية

فى المقام الأول هى القصة والرواية . . وبعد مجموعتى القصصية الأولى « تلك اللحظة فى حياة العالم » وروائى الأولى « الأسوار » فأنا الآن أعد لإصدار مجموعتى القصصية الثانية « متابعات لا تعرف الانسجام » كما أننى بدأت فى كتابة روائى الثانية « حكايات عن جزيرة فاروس » وفى الذهن بالطبع أعمال أخرى لم تتحدد بعد عندى ملامحها النهائية .

فبراير سنة ١٩٧٦

فاطمة سليم

عن الأدب في تونس

● غالباً كلما قدم إلى قاهرتنا أديب من أى قطر من أقطار المغرب العربى وجدناه يبادرنا بالعتاب لكون الحركة الثقافية فى مصر لا تتابع - بل لعلها تجهل - ما يدور من أنشطة ثقافية فى هذه الأقطار العربية الشقيقة . . وأحياناً يتصاعد هذا العتاب إلى حد الاتهام بالتقصير من جانبنا ، ولكنه فى كل الأحوال ينطلق من دوافع الحب والتقدير للقاهرة والاعتراف بدورها الرائد ومكانتها الحضارية عند هذه الأقطار التى تتطلع إليها وتعايش كل ما يصدر عنها . . وفى الحقيقة فإن هذا العتاب يثير قضية لا بد من إيجاد الحلول لها . . إن عملية تنشيط التبادل الثقافى بين أقطار العروبة بصورة منظمة ضرورة أولية يجب أن تكون جزءاً من مهام وزارات الثقافة فى كافة بلادنا العربية . كما أنها مهمة أساسية من مهام اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية لا بد من تنسيق لعملية توزيع المطبوعات فى أقطارنا العربية وتبادل الأفلام والمسرحيات ومعارض الفنون التشكيلية .

وتبادل الزيارات بين الأدباء والفنانين والاتصال المباشر بينهم في جميع أرجاء وطننا العربي .

● ونفس العتاب سمعته مؤخراً من الأدبية التونسية فاطمة سليم خلال زيارتها الأخيرة للقاهرة . . وفاطمة سليم قاصة صحفية تحرر في مجلة « المرأة » التي يصدرها الاتحاد النسائي في تونس . وتنشر قصصها القصيرة في مجلة « قصص » وكذلك مجلة « الفكر » كما تذاع قصصها في الإذاعة التونسية . وقد صدرت لها في الستينات مجموعة قصصية بعنوان « نداء المستقبل » وفي عام ١٩٧٤ صدرت مجموعتها الثانية « تجديف في النيل » وهذا لقاء مع الأدبية التونسية الشابة .

● قلت للأدبية التونسية فاطمة سليم : ألاحظ أن إنتاجك الأدبي لم يخرج عن إطار القصة القصيرة . . هل يكن وراء هذا الاختيار لتلك النوعية موقف ما يواكب تجربتك مع القصة القصيرة ؟

- ما زالت القصة القصيرة بالنسبة لي هي أقدر الأشكال الأدبية طواعية للتعبير عن موقفي من الحياة والناس والأشياء . وحتى الآن لا أجد عندى الرغبة في تجربة أشكال أخرى من الفن . ولكن من يدرى قد أجدني في المستقبل قد اتجهت إلى أشكال أخرى . قد أجد أن تجاربي الفنية يلائمها المسرح أو الرواية ، أما الموقف خلف تجاربي القصصية فهو التعبير عن مشاعري وتجاربي ووجهة نظري في الواقع ، وفي البداية كانت قصصى تكتب بمجرد السليقة أو الموهبة كما يقولون - إن جاز أن أدرج في منطقتها - ولكن بعد القراءة المكثفة والمتصلة والاقتراب من منابع الثقافة وجدتنى أتجه إلى التجريب في إطار القصة القصيرة ، فقد كانت مجموعتى الأولى « نداء المستقبل » تقليدية لا تضيف شيئاً مثمراً و متميزاً في القصة وفها ، ولكنى في مجموعتى الثانية « تجديف في النيل » نحوت إلى التجديد في الشكل القصصى الذى يبلور تجربتى

الفنية . . ولا أعرف إن كنت نجحت في هذا أو لم أوفق .

● بعد قراءتي لمجموعتك «تجديف في النيل» أجدني متفقاً مع الكتاب التونسي محمد العروسي المطوى في تقييمه لهذه المجموعة التي تضم ما يمكن تصنيفه - من ناحية الأسلوب - في نوع الأدب القصصي . والبعض الآخر من نوع اللوحات والخطوط كما يمكن اعتبار جانب آخر منها من باب الشعر المنشور؟

- قلت إنني أجرب . ومن حق النقد أن يضع تجارتي في الوضع الذي يراه . المهم أنني صادقة مع نفسي ومع تجربتي الفنية . ومن خلال هذا الصدق مع نفسي ومع هذا الفن قد أصل إلى ما يجعلني أتجاوز تجارتي الراهنة . . ومهما يكن من أمر فكل الذين تناولوا تجارتي القصصية بالنقد نوهوا عن قيمة كتابتي وصدقها ورؤيتها الملتزمة وكونها تأتي تأكيداً لقدرة المرأة التونسية على أن تكون أديبة وفنانة ومؤثرة في ثقافة بلادها .

● من هم الرواد الذين مهدوا طريق القصة في تونس؟

- على الدوعاجي . . العروسي المطوى ، البشير خريف .

● والرؤية الجديدة عند مَنْ مِنْ جيل الشبان نجدوها؟

- عندنا عز الدين المدني ، أحمد ممو ، إبراهيم بن مراد ، عبد الواحد براهيم ،

عروسية نالوتي .

● تجاربكم الفنية في تونس هل تسوقونها بالعربية الفصحى ، وما موقع العامية في إنتاجكم؟

- أكثرينتنا المطلقة تكتب بالعربية الفصحى . . البشير خريف هو الذي يكتب بالعامية خاصة بلغة أهل «الجريد» موطنه وهي منطقة في الجنوب التونسي مشهورة بالذكاء والأصالة والمواهب ومنها جاء الشابي شاعرنا الأشهر . . ولها طابع خاص ونكهة خاصة ، لهذا يصبر البشير على أن يعبر عنها بلهجتها المحلية . . ونحن في تونس نؤيد موقفه

هذا برغم أن أغلبنا يكتب بالعربية الفصحى .

● القصة القصيرة في تونس . . الآن هل هي مزدهرة ؟ . أنا أتابعها فحسب من مجلة « الفكر » و « قصص » وليست متابعتي دائمة . . في الحقيقة تكون بالمصادفة عندما أجدهما في السوق أو مع زميل . . لهذا لا أستطيع أن أصدر حكماً عليها ؟

- في الحقيقة تمر القصة القصيرة الآن بمرحلة فتور . . لا من حيث الوجود . فما أكثر ما يكتب . وإنما من حيث النشر بسبب تقلص المساحة التي كانت متاحة للقصة في الصحف وفي الإذاعة . لقد اتجهت الأهداف القومية في تونس إلى التكنولوجيا وأصبحت الصحافة والإذاعة تسير ذلك . . كانت الصحافة تهتم بالقصة وكانت الإذاعة تقدم المواهب الجديدة . . نتيجة الاهتمام بالتكنولوجيا من أجل نهضة علمية في تونس ، لم تعد المواهب الشابة تجد المجال متسعاً . . هناك ازدهار في الإنتاج وفنور في النشر . . ولكن الإنتاج يترعرع في المتلدبات الأدبية فحسب انتظاراً لنشر أوسع مجالاً . ● ما هي القضية التي تشغلك في كتابتك أو تستأثر بالجانب الأكبر من الاهتمام في

هذه الكتابة ؟

- قضية المرأة عموماً هي التي تشغلني والتي أجدني مدفوعة إلى الإصرار على أن تنصر المرأة في هذه القضية . . أريدها أن تجتاز واقعها الراهن في عالمنا العربي إلى واقع أفضل تتأكد فيه جدارتها ومواهبها ومساواتها بالرجل على جميع المستويات . ما أسعى إلى تأكيدهِ دائماً هو تغيير النظرة الخاطئة للمرأة من أنها أدنى من الرجل .

● مادمنّا قد تحدثنا عن قضية المرأة واهتمام أدبك بهذه القضية . . يخطر لي سؤال ، هل هناك أسماء نسائية لها أصواتها المتميزة وسط ما يعزف أدباً في تونس . وهل أعطين ما يماثل قيمة ما أعطته الأصوات النسائية في أدب المشرق العربي .

- في الحقيقة توجد نهضة أدبية نسائية في تونس لا شك في قيمتها ومحاولاتها

الدائبة لإثراء حياتنا الثقافية والإسهام في تيارها . . عندنا أسماء لها تاريخ مديد مثل ناجية سامق . . وعندنا هند عزوز ، وخيرة الشيباني ، وجميلة الماجري وعروسة نالوق ، ونبيلة التبانة ، ونافلة ذهب ، وفاطمة المديدي وغيرهن . ولكني أصارحك القول بأن الأدب النسائي عندنا لم يصل إلى المستوى الذي وصل إليه الأدب النسائي في المشرق خصوصاً في مصر ، وذلك لظروف تاريخية واجتماعية ليس هنا مجال الحديث عنها . ولكن الظاهرة التي تبشر بالخير أنهم جميعاً يمتلكون ثقافة عصرية متسعة وأن الأدب النسائي عندنا ليس ضخم الكم فذلك لأن المرأة الأدبية عندنا مشغولة بقضايا المجتمع ، وكلهن يتحملن مسؤوليات اجتماعية في خدمة الحياة القومية التونسية . بجانب أن بعضهن موظفات وربات بيوت .

● هل كان لأدب المشرق وللأدب المصري تأثير في الأدب التونسي ؟

- نحن أمة واحدة ذات تراث مشترك ولغة موحدة ، ومن الطبيعي أن يحدث التفاعل ، وأدب المشرق مقروء إلى حد كبير في تونس . . ونحن في تونس نعرف كل الكتاب المصريين . ونتابع المحاولات الجديدة من جيل الشبان عنكم ونناقشها في منتدياتنا الأدبية . . ولكن إنتاجنا القصصي بالذات له طابعه الخاص وهو عموماً يحمل سمات المجتمع التونسي وغير متأثر بالتأثير المصري أو غيره .

● ألم تحدث الموجة الجديدة من الشبان عندنا تأثيراً في إنتاج الشباب لديكم ؟

- الموجة شملت الجميع عندنا وعندكم . . لأنها جاءت من الغرب أساساً . وإذا كانت قد أحدثت تأثيراً فلسم أنتم ولا أدباء المشرق مصدره . . لقد كانت موجة عالمية . . ولكني ألاحظ أنها في المشرق عندكم وفي المغرب عندنا قد أخذت في الانحسار والجزر . . والدليل على ذلك وقفات الصمت التي يقفها الآن بعض الكتاب من أدباء هذه الموجة . وفي اعتقادي أن الموجة قد امتدت ووجدت استجابة نتيجة

لظروف سياسية معينة كانت تسود منطقتنا العربية خاصة بعد عام ١٩٦٧ حيث كان الضباب يكتنف الأفق وكان اليأس والتمزق يحيط بكل أقطار الذات العربية . ولكن بعد أن أعادت حرب أكتوبر الثقة للإنسان العربى وجلبت له وضوح الرؤية والإيمان بالذات . . فإن هذه الموجة تتراجع لتفسح الطريق لمعطيات مغايرة سوف تفرزها فترة المحاضرات الراهنة .

يناير سنة ١٩٧٦

١٩٨٨ / ٢٥٠٩	رقم الإبداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٢٤٠٧-٣	الترقيم الدولي

١ / ٨٨ / ٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

